المسرح والتاريخ تعالق إبداعي

دراسة تحليلية

في مسرحية (مماليك للبيع)

الدكتور

كمال سعد محمد خليفة

أستاذ الأدب والنقد المساعد ـ في كلية البنات الإسلامية بأسيوط

العدد الثاني والعشرون

للعام ١٤٣٩هـ / ٢٠١٨م

الجزء الأول

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠١٨م

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

يعد المسرح من فنون الإبداع الأدبي المهمة ، في العصر الحديث ، إذ يحمل بين جنبات عالمه ، ثراء فكريًا ، وإبداعيًا فائقًا ، فهو القادر على التعبير عن هموم المجتمع وقضاياه ومشكلاته ، عبر تشكيله الفني ، ويمنح المتلقي – عبر أدواته – قدرة خاصة على الاستيعاب والتفكير . فالشعر مثلا ، يحتاج لاستعداد فطري (موهبة) وتذوق خاص ، يمكنا المتلقي من استيعاب ما يقرأ ، أو يلقى إليه ، فيسمعه ، فكم من قُرَّاءٍ للشعر ، يُطْرَبون لموسيقاه ، ولكن لا يستطيعون تقديم تفسير لمضمون هذا الإعجاب ، من مقومات فنية أو فكرية ، كونت لديهم هذه الرؤية التي بلوروها عما قرأوه ؟!! .

أما المسرحية ، فلديها من الاتساع الزماني ، والمكاني ، والإبداعي ، ما يجعلها تستوعب الأفكار، وتقوم بتفسيرها وتحليلها ، ورصدها من وجهة نظر الكاتب ، كما أنها تستوعب مقومات وطاقات فنية متعددة ، تدفع الكاتب والمتلقي ــ في الآن نفسه ــ إلى أن يتواصلا عبر اللغة المشتركة ، والصياغات المتنوعة، ما يجعل من المسرحية فنًا اجتماعيًا، قادرًا على رصد مشكلات المجتمع ، وتقديم الحلول المناسبة لها من وجهة نظر الأديب. يضاف إلى كل ذلك حضوره الطاغي الذي تدعمه أدواته الفنية ، ووسائطه الإبداعية ، التي تعمل على جذب الذوات المتلقية " فتملأ نفوسهم بالسعادة والنشوة ، كما تسمو بأذواقهم ، وتمدهم بالطاقة الروحية والفكرية [١] " ، وذلك لأن المسرح من الفنون الراقية ، التي لا يتأتى لأي فن منها أن يبلغ ما بلغه من " روعة وعبقرية في تصوير أزمة العصر

---

(١) نحو مسرح إسلامي ص : ٩ – د. نجيب الكيلاني – دار ابن حزم – أولى – ١٩٩٠م – بيروت .

الراهن بكل أبعادها الفردية والجماعية ، وذلك بما يتوفر له من مقومات : الكلمة والحركة والموسيقا والصورة والتعبير، والأضواء والظلال ، سيما بعدما هيأت له التقنية (التكنولوجيا) الحديثة من وسائط وآليات تمكنه من أداء مهمته على نحو قمين[١] ". ومن ثم ، يصبح المسرح ذا خصوصية فكرية وإبداعية ، تستقطب جموعًا من المتلقين ، فتحدث فيهم التأثير والإقناع والمتعة التي يبحث عنها المتلقي ، ويطمح إليها الفن .

من هنا ، لا يكون المسرح شكلاً أدبيا فحسب ، ولا وسيلة من وسائل تسلية الفراغ ، بل هو أكبر من ذلك ، فلئن كان " الإمتاع وجها من وجوهه ، فإن له وجوها أُخَر ، يعبر عنها التصور والاعتقاد ، المتمثل في نظرة الكاتب إلى الكون والحياة والإنسان ، فهو بذلك عامل من عوامل التأثير الفكري ، والتغيير الاجتماعي" [٢].

من ثم ، تكون دراسة الإبداع المسرحي ، ضرورة ملحة ، لرصد حركة المجتمع ؛ رصد آلامه وآماله ، انتكاساته وانتصاراته ، على المستوى الفردي والجماعي ، حتى تحدث لدى المجتمع ما يسمى بـ (الصدمة) ، فيسترد وعيه وتفكيره المغيب . سيما ، في هذا العصر الذي يحيا فيه المجتمع العربي والإسلامي حالة من الانتكاسة في الفكر ، والتقهقر في السياسة والتفسخ في الواقع الاجتماعي ، والاضطراب والكساد في الاقتصاد .

المسرح إذن ، بمثابة المرآة التي يرى فيها المجتمع عيوبه ، وسقطاته ، وأخطاءه وخطاياه . فيحاول إنسان هذا المجتمع أن يتمرد على هذا الواقع

---

(١) فوضى العالم في المسرح المعاصر ص : ٨ . د . عماد الدين خليل – مؤسسة الرسالة – بيروت .

(٢) خصائص القصة الإسلامية ص ٧ ، ٨ بتصرف – مأمون فريز جرار ــ دار المنارة ــ أولى ــ ١٩٨٨– جدة .

المهترئ ، وينبذه ، ويتسامى عليه ، فيسترد عافيته ويتحرر تفكيره ، وينهض من كبواته ؛ قويا ، وقادرًا على تحمل مسئولياته الاجتماعية والفكرية والسياسية والاقتصادية ، فيصنع المجتمع الأفضل ، ويشكل هويته الإنسانية ، التي خلقه الله (ﷻ) من أجلها ، وفضله كذلك على سائر الكائنات الأخرى ، التي يزدحم بها كونه الفسيح .

من ثم ، كانت هذه الدراسة التي تطرح هذا التصور الإسلامي ، لعملية الإبداع في حياتنا. سيما، إذا كان المبدع ؛ هذا الإنسان طرازا فريدا في هذا الكون، له مسئولياته المتعددة ، التي تحاول عقيدته الإسلامية ، أن تلقي عليه عبء متابعتها وتحقيقها . هذه المسئوليات ، أو القيم ؛ من الحق والخير والجمال والعدل والمساواة ، ... ، هي التي في مجملها ، تخلق لدى الإنسان المبدع حيوية التصور الإسلامي للعملية الإبداعية ، في فنونها وتشكيلاتها الإبداعية المختلفة سواءً منها الواقعي أو التاريخي ... فدراسة الشخصيات / الأحداث التاريخية . ومن ثم ، تشكيلها في العمل المسرحي ، ومحاولة إخراجها من صفحات التاريخ ، إلى عالم الواقع والمشاهدة ، لم يكن ترفا ، أو هروبا من المبدع ، من حلبة الصراع في الواقع ، لكنها تمثل – في رأيي– مواجهة مع هذا الواقع ، بمشكلاته المتداعية ، والاصطدام به ، من خلال رؤية الأديب ، الذي يتخذ من التاريخ أو الواقع التاريخي ، مصدرًا خصبًا ؛ لبناء أحداثه وشخوصه ، وتشكيل هوياتهم ، ورؤاهم المختلفة.

هذه الرؤية الإبداعية ، بمقدورها أن تصنع البطل الذي باستطاعته المواجهة مع الواقع ، سيما عندما يضطرب هذا الواقع ، وتتداعى في دنياه القيم والمبادئ ، ويحاصرها بتخاذله وانكساراته .. فلا شك أن التاريخ في هذا الوقت ، هو الذي يحفزنا على مجاوزة هذا الواقع المتداعي ، و يدفعنا للتمرد عليه . ومن ثم ،

الاستعلاء فوق انكساراته ، والإغراء بأنماطه الواعـدة ، ونماذجـه الفاعلـة ، واستلهام أحداثه الحية ، واستدعائها لفهم الواقع ومعالجته .

فالتاريخ ، يمثل لعملية الإبداع ، مادة خصبة وثرية ، تمنح الأديـب حريـة الحركة في إلقاء الضوء على مشكلات الحاضر. من هنا ، يحتاج الأديب إلى وعي وإدراك خاصين ؛ وهو يوظف هذه المادة الخام ، ويشكلها بالصفة التي تصنع ما يسمى بـ (التأثير والإقناع) دون الوقوع في الخلط أو التزييـف ، كمـا يحلـو للبعض ممن يدعون الإبداع من فقراء الموهبة وهم يصنعون ما يطلقـون عليـه (مسرحا) !!.

من هنا، جاءت الدراسة في تمهيد ، وفصلين :

* *التمهيد* : *المسرح والمجتمع* : وضحت فيه أهميـة العمـل المسـرحي ، بوصفه أسلوبًا ، ينبغي توظيفه في معالجة قضايا الواقع الذي نعايشـه ، ومـدى أهمية التاريخ ومادته في تشكيل العمل المسرحي ، وسبر أغوار طاقاته المتعددة ؛ لتشكيل أحداث / شخوص المسرحيات ، ومدى أهمية هـذه النمـاذج التاريخيـة وحيويتها في معـالجة قضايا الواقع ، من خـلال ما يسمى في لغة النقد: بـ (الإسقاط) .

* الفصل الأول : (*المسرح والتاريخ : الرؤية والفن*) ، وتشمل مبحثين :

الأول : *البطل بين الرؤية والإبداع* ، بوصفه أبرز الشخصـيات فـي العمـل المسرحي ، ومفهوم البطل في التصور النقدي ، ومكانته في تشـكيل الفضـاء المسرحي ، الذي عالج تجاربه مبدعوه برؤيـة إسـلامية . سـيما الشخصـيات التاريخية ذات الحضور الفاعل في تاريخنا الإسلامي العريق ، وذلك لأن بطل هذه المسرحية كان أنموذجا للبطل العالم المسلم ، الذي يعبر عن رؤية الإسلام ، الذي ينتج هذه الكوادر البانية والفاعلة في المجتمع تاريخيا أو واقعيا .

الثاني : *الفن والتاريخ : التعالق والتشكيل* ، وهو يبحث العلاقة بين الإبداع الأدبي – والمسرح جزء منه – بالتاريخ ، بوصفه علمًا ومضمونًا حيويًا ، له من المقومات الفكرية والإنسانية ما يهيئ المناخ الإبداعي للأديب ، وفق التصور، أو الرؤية الحضارية الإسلامية لعملية الإبداع .

* الفصل الثاني : *الدراسة التحليلية* لأنموذج البطولة التاريخية في المسرح . سيما ، من النوع الذي تسطع الرؤية الإسلامية في تشكيله ، وتتجسد عبر فضائه العلاقة الجمالية بين ما هو تاريخي وما هو فني ، في النص المسرحي. فكانت مسرحية (*مماليك للبيع*) [١] للكاتب (*عبد الحميد إبراهيم*)[٢] ، نصا

(١) (مماليك للبيع) ص : (٧٠: ٧٢) : مسرحية منشورة مجلة الأدب الإسلامي (فصلية) – تصدرها :(رابطة الأدب الإسلامي العالمية) – العدد(٥) السنة (٢) رجب / شعبان / رمضان :١٤١٥هـ / ديسمبر/ يناير / فبراير ١٩٩٥م .المملكة العربية السعودية . وأعيد نشرها في كتاب الرابطة رقم (٣٩) مع نظيراتها من المسرحيات التي سبق نشرها في المجلة تحت عنوان : (مسرحيات إسلامية قصيرة) ص: (٢١ :٢٨) مكتبة العبيكان – أولى – ٢٠١١م – الرياض .

(٢) الأستاذ الدكتور: عبد الحميد إبراهيم ، الناقد والمفكر والأديب ، (١٩٣٥ :٢٠١٢م) صاحب مشروع الوسطية العربية الذي استنبطه من التراث العربي والإسلامي من مواليد قرية (الزينية) من أعمال مدينة الأقصر في جنوب مصر تلقى تعليمه في الأزهر الشريف حتى مرحلة الثانوية والتحق بعد ذلك بكلية دار العلوم حتى تخرج منها وواصل دراسته حتى حصل على الدكتوراه وتدرج في السلم الأكاديمي مدرسا للأدب والنقد ، ثم أستاذا مساعدا ثم أستاذا مارس الأستاذية في كثير من جامعات العالم ثم تقلد عمادة كلية الدراسات العربية في جامعة المنيا والتي تحولت إلى كلية دار العلوم بعد ذلك . ناقش العديد من رسائل الماجستير والدكتوراه وأسهم في ترقية الكثيرين لدرجتي الأستاذ المساعد والأستاذ وأسهم بالكثير من المقالات والبحوث والدراسات في مجال النقد الأدبي ، وكان أول من حصل على جائزة رجاء النقاش للنقد في دورتها الأولى .، وأسس جماعة باسم (وسطية الأدب) كان هو رائدها .

إبداعيا، حاول أن يجلي عبره الدور الحضاري للشيخ (العز بن عبد السلام) [١] ؛ العالم والقاضي ؛ الملقب بسلطان العلماء وبائع الأمراء ، يحاول أن يحفزنا الكاتب عبر عملية الإبداع لأن نفتح عيوننا على هذا الأنموذج التاريخي البطولي الفريد ؛ الذي تكتنز شخصيته بطاقات عديدة من القيم الحضارية والخصائص الإنسانية والمواقف البطولية والأخلاقية ، التي تنطلق من رؤية إبداعية متفردة ، تنطلق

---

(١) هو : عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن حسن بن محمد بن مهذب السليمي .

- شيخ الإسلام والمسلمين ، وأحد الأئمة الأعلام ، سلطان العلماء ، إمام عصره بلا مدافعة ، القائم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في زمانه ، المطلع على حقائق الشريعة وغوامضها ، العارف بمقاصدها ، لم ير مثل نفسه ، ولا رأى من رأى مثله ؛ علما وورعا وقياما في الحق ، وشجاعة وقوة جنان وطلاقة لسان .
- ولد سنة سبع أو ثمان وسبعين وخمسمائة ، ولد وعاش في دمشق ، وتلقى العلم بها ، ودرس ودرَّس أيام مقامه بها بالزاوية الغزالية وغيرها ، وولي الخطابة والإمامة بالجامع الأموي . وكان أعلم أهل زمانه ومن أعبد خلق الله لله .
- استمر الشيخ بدمشق إلى أيام الصالح إسماعيل المعروف بأبي الخيش ، ولما قدم الصليبيون إلى المشرق العربي صالحهم واستعان بهم وأعطاهم صيدا وقلعة الشقيف ، فأنكر الشيخ عز الدين عليه فعلته وترك الدعاء له في خُطبه وأعانه على ذلك شيخه ابن الحاجب المالكي ، فغضب السلطان منهما ، فخرجا إلى الديار المصرية بعد أن رفضا محاولة استرضائه لهما في سنة تسع وثلاثين وستمائة (٦٣٩هـ) .
- حط الشيخ رحاله في القاهرة ، فتلقاه سلطانها الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل، وأكرم وفادته، وولاه الخطابة في جامع عمرو بن العاص، والقضاء بالقاهرة والوجه القبلي.
- ذكر مؤلف طبقات الشافعية الكثير من مواقف الشيخ ومواجهته لتصرفات السلاطين والأمراء ما يضيق عن ذكره المقام ، مما لم يكن يوافق الشرع أو الفقه والعلم ، وكانوا يهابونه ، وينزلون عند حكمه ورأيه ، ولا يخش منهم في الحق عذرا ولا عزلا ولا إبعادا ، طالما أن ما صدع به هو الحق ، وفي مصلحة الأمة .
- راجع : طبقات الشافعية للشيخ تاج الدين أبي نصر عبد الوهاب السبكي (٧٢٨ – ٧٧١) ج٨/ ٢٠٩ وما بعدها بتصرف واختصار . تحقيق الأستاذين : عبد الفتاح محمد الحلو ومحمود محمد الطناحي – دار إحياء الكتب العربية (الحلبي) – دت – القاهرة .
- طبقات الشافعية (٧٢٨ – ٧٧١) ج٨/ ٢١٦ وما بعدها بتصرف واختصار– للشيخ تاج الدين أبي نصر عبد الوهاب السبكي. تحقيق الأستاذين : عبد الفتاح محمد الحلو ومحمود محمد الطناحي – دار إحياء الكتب العربية (الحلبي) – دت – القاهرة .

من المعطيات الإنسانية والحضارية للإسلام الذي يعبر عنه الشيخ ، ويرمز إلى مقومات بناء الشخصية الحضارية فيه . بوصف الإسلام الدين الذي يحمل في أعطافه قيم التحضر والبناء ، ويؤصل لقيم الحق والخير والحب والعدل والمساواة والجمال ، في مجتمعه . سيما عندما تفتقد المجتمعات كثيرا من هذه الطاقات . ومن ثم ، النماذج التي تشكل وجودها فيه .

لعل هذه – فتح عيوننا على أمثال هذه النماذج ، والإغراء بإمكانية تكرارها في مجتمعاتنا ؛ في واقعنا الذي يفتقد مثل هذا الأنموذج – كانت دافعي لدراسة هذه المسرحية ، وإبراز ما أثمرته هذه العلاقة بين التاريخ بثرائه الحضاري والإنساني ، والفن بطاقاته وأدواته ، التي تشكل وجدان شبابنا ، وتنشئهم على مثل هذا الإبداع الحقيقي ، الذي يصلح أن يكون بديلا لما نعانيه ، من نتاج فاسد، وإبداع لمواهب قاحلة ، وضحلة الخيال! .

حاولت التَّماس مع النص المسرحي عبر مقاربة نقدية تحليلية ، لم تسع لاتخاذ منهج ما ؛ لإيمان الباحث أن عملية اللجوء إلى المناهج تجاوزها البحث النقدي كثيرا في عالم النقد ، وتشابكات الثقافات وتفاعلاتها جعلت الاتكاء أو الاستناد إلى منهج قد يعطل كثيرا التعرف على طاقات النص الأدبي ، أو يغمط المبدع حقه في الكشف عن مهاراته ، سيما عندما نلجئه أو نخضعه عنوة لمنهج معين في دراسة إبداعه !! ، وإذا كانت التجربة الشعرية تكتب نفسها ، فكل نص إبداعي كذلك يختار منهجه الذي يبوح بإمكاناته وطاقاته الإبداعية . قد يكون عدم الارتكان إلى منهج هو المنهج عينه في عملية النقد ، بعيدا عن المماحكات والنظريات المستوردة والمستدعاة من حقول معرفية في غالبيتها غربية ومغايرة، و نتاج لغة مختلفة عن لغتنا ، ذات السحر والجمال والخيال !! .

الله أسأل أن يلهمنا الصواب ، وأن يهدينا سواء السبيل . وصل اللهم وسلم على سيد البلغاء والبيانيين ؛ سيدنا محمد وآله وصحبه ، ومن اقتفى منهجه إلى يوم الدين .

التمهيد

المسرح والمجتمع

إن المسرحية ، وغيرها من فنون الإبداع الأدبي ، تقدم – ما لو استغلت الاستغلال الأمثل – خدمة جليلة للمجتمع . سيما ، الذي يعاني من مشكلات وتعقيدات ، ربما لا يقوى التعبير المباشر أن يسهم في علاجها ، " فإقبال الجماهير على هذه الفنون .. يجب أن يفتح عيوننا على هذا السلاح الخطير ، الذي يتسلح به الشر، على أرض الله الواسعة ، وقد لا نكون مغالين إذا قلنا : بأن القصة والمسرحية كان لهما النصيب الأوفر ، في تشكيل الرؤية العقدية والسياسية ، وإقناع الناس بها ، لكثير من التيارات الفكرية والسياسية ، التي تحاول أن تسيطر عقائديا وفكريا على العالم اليوم [١] " .

ولعل هذا ما وعاه بعض الأدباء المخلصين في تجاربهم الفنية ؛ من الذين اهتموا بقضايا الإسلام ، ووعوا خطورة دور هذه الفنون ، عندما يحسن توظيفها لمعالجة هذه القضايا . سيما ، موضوعات التاريخ الإسلامي ؛ " فالتاريخ ، هو ذاكرة الأمة ، وبقدر ما تسلم هذه الذاكرة ، وتحسن الأمة التعامل معها ، بقدر ما يمتد تأثيرها ، وتبرز قدراتها وتقوى شخصيتها "[٢] فإذا وعى الكاتب توظيف هذه النماذج الهائلة ، المشرقة في تاريخنا الإسلامي ... وحركتها في العالم التاريخي، ومن ثم حركتها في العالم الإبداعي لأنتج أدبًا ، تنهض ببنائه شخصيات إبداعية قادرة على أن تكون قدوة ، وأنموذجاً ، تتجسد خلاله ، وعبر حركته ، القيم

---

(١) مدخل إلى الأدب الإسلامي ص : ١١ بتصرف . من مقدمة الأستاذ عمر عبيد حسنة ــ للدكتور نجيب الكيلاني ــ كتاب الأمة عدد (١٤) جمادى الآخرة ١٤٠٧هـ ــ رئاسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية ــ قطر .

(٢) المسلمون وضرورة الوعي بالتاريخ .(مقال) للأستاذ :عبد القادر عبار – منشور مجلة الأمة – عدد(٤٢)– جمادى الآخرة ١٤٠٤هـ .

الإنسانية ، والفضائل السامية التي شخصتها عقيدة الإسلام ، ودعت إلى التزامها في حياتنا وواقعنا المعيش ..

بهذا الحضور والثراء ، يصبح المسرح فنا قادر على تقديم دوره الفاعل في تنمية المجتمع البشري الإسلامي . سيما ، في الزمن الذي نفتقد فيه وجود الأنموذج المسلم ، القادر على بث الأمل في أوصال المجتمع أو الأمة ، لمعالجة ما ألم بها من أزمات ، تقعد بها عن أداء دورها الفاعل ، في بناء الحياة . فضلا عن انطلاقها الحضاري نحو الآفاق الرحبة ، وفي الاتجاهات المختلفة ، التي تفتقد أو لم نكد نعثر فيها على هذا الأنموذج الإسلامي الحقيقي ... فالتاريخ ، بهذا الحضور القادر ، يصبح " تجربة عطاء ، في شتى مجالات المعرفة ، والحركة الإنسانية ... وحصيلة سنن تحكم الطبيعة والإنسان والعالم ... حركة حياة نامية متطورة ، تتدفق من أعماق الوجدان البشري ؛ لتنداح – بعد هذا – في اتساع الزمان والمكان ، ولتنشئ – من ثم – دولا وأحداثا ، وحضارات ، هي نتاج تفاعل خلاق بين العقل والعاطفة ، والمادة والروح ، والوعي المباشر وغير المباشر ، والطبيعة والغيب ، والتراب والحركة ، والقدر والحرية "[١] .

وإذا كان المسلم المعاصر في عصرنا ، وعبر امتداده التاريخي الممتد والمتجذر، على اختلاف حِقَبِه السياسية ، وحلقاته المتواترة ، قد فَقَد – بفعل الاحتكاك الحضاري حينا ، والنكوص الفكري والعلمي ، والتخلي عن مصادر القوة، والثراء الحضاري أحيانًا – بعض مقومات شخصيته ، وطفت على السطح شخصية (مسلمة !) تعاني الانفصام ، والتردي في هوة الاستلاب الحضاري والفكري ، مما جعله يجني ؛ بل يحصد ، عوامل التخلف الفكري والحضاري ، التي لاذ بها وركَن إليها ، فانطفأت سراج روحه ، وتَهدَّم من داخله ، فتساقط

(١) في النقد الإسلامي المعاصر ص ٣٢٨ ، ١١٨ . د / عماد الدين خليل ــ مؤسسة الرسالة ــ ثالثة ــ ١٩٨٤م ــ بيروت .

جسد الأمة ، عضوا تلو الآخر ، داخل هوة الانكسار التي صنعها بيده ، أو بيد من يملكون صناعة قراره !!... فما كان من أمره ، إلا أن يلجأ إلى هؤلاء المبدعين ، من أبناء الأمة ، الذين يعانون مشكلاتها ، ويعيشون قضاياها ، يلجأون إلى مواهبهم الخصبة ، فيصنعون من التاريخ – إن جاز التعبير– نماذج وأنماطًا ، قادرة على تكوين الأنموذج الحضاري الفاعل ، في هذا المجتمع ، عبر حركة منضبطة بالعقيدة الإسلامية ، وسلوك نابع من رؤيتها الحضارية الخالصة ..

فالبطل الإسلامي "هو القدوة، أو الأنموذج، أو المثال الحي الذي تتجسد فيه القيم الإسلامية .. حتى وإن شابه ضعف، أو تخلٍ عن بعض هذه القيم، أو انحراف عن مساراتها التي تنتهي به إلى تشكيل هذه الهوية ؛ لأن الإسلام لا يغلق الباب أمام النماذج الشائهة، أو نماذج الضعف البشري ، أو البطولة الناقصة التي تحتاج إلى تجربة ومعاناة ، وهي في طريقها إلى النمو والاكتمال[١] ".

فهذه النماذج الناقصة – إذا جاز التعبير – أكثر جاذبية للأديب ؛ لأنه يجد فيها مادة خصبة للمعالجة ، ومحاولة إخضاعها للعديد من العوامل ، والمؤثرات ، أو الأحداث ، التي تحقق من خلال نموها وتطورها ، بأسلوب مقنع ؛ ليصل إلى المثال المطلوب ، أو القدوة المنشودة ، إذ أن مهمة الأدباء في الرؤية الإسلامية ليست حكرا على النماذج الصالحة الطيبة ، وحمايتها من الانزلاق أو المروق ، فحسب . ولكن المهمة الأكبر تكمن في استنقاذ الجانحين ، وإصلاح الفاسدين ، وفتح باب الأمل أمام اليائسين ، أو المترددين ، والأخذ بأيدي التائهين ، إلى طريق الحق والخير والجمال . فالبطل في الأدب الإسلامي هو هذا أو ذاك ...؛ لأن الخروج من المأزق بطولة ، وكذلك التخلص من سلبيات السلوك ، وهواجس الضعف ، وإغراءات الحياة الزائفة بطولة ، والانتقال من حال متردية إلى حال

(١) مدخل إلى الأدب الإسلامي ص: ٥٥ نجيب الكيلاني – رئاسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية ــ كتاب الأمة – العدد (١٤) – أولى – ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م – قطر .

متسامية ، والخروج من السلبية إلى الإيجابية ، والتخلص من أدران الشك ، والخوف ، والتسيب ، والقدرة على بدء حياة نقية جديدة ... كل هذا ، يعد ضربا من البطولة ، البطولة الجديرة بالإبراز والتمجيد ؛ لأنه يعني انتصار الخير على الشر ، في قلب الإنسان أولا ، وفي معترك الحياة ثانيا ". (١)

إذن البطل في الأدب الذي ينبثق من الرؤية الإسلامية (٢) : " تجسيد لفكرة يرى الكاتب إبرازها لتؤدي دورا ، تمتزج فيه المنفعة بالمتعة ، لدى المتلقي ، فيتفاعل معها ، ويتأثر بها ... ومن ثم ، تولد لدى المتلقي قناعات بعينها ، قد تدفعه إلى اتخاذ موقف " .

وهذا ما ستتناوله – باستفاضة – الدراسة النظرية في الفصل القادم (المسرح والتاريخ : الرؤية والفن) عبر مبحثيه ، حيث يتم تناول الموضوع في اتجاهين :

الأول : يتناول مصطلح " البطل بين الرؤية والإبداع " يعنى بحضور البطل في العمل الفني ، وفق الرؤية الإسلامية .. لما للبطل من قدرة على اسكناه الحمولات الفكرية والسياسية والاجتماعية والدينية ، التي يعنى بها الأديب ويفرز تصوراتها خلال عملية الإبداع ، وفق الرؤية الإسلامية .

الثاني : " الفن والتاريخ : التعالق والتشكيل ". وهو يطرح إشكالية العلاقة بين التاريخ والفن في التشكيل الجمالي للعمل المسرحي ، وتأثير كل منهما في الآخر .

---

(١) مدخل إلى الأدب الإسلامي ص : ٥٥ ، ٥٦ .. بتصرف د / نجيب الكيلاني .سابق .
(٢) السابق نفسه ص :٥٧ بتصرف.

الفصـــل الأول

المسرح والتاريخ الرؤية والفن

وتشمل مبحثين :

الأول : البـــــــطل بين الرؤية والإبداع .

الثاني : الفن والتاريخ : التعالق والتشكيل .

المبحث الأول

البطـــــل بين الرؤية والإبداع

البطل في الآداب العالمية ، ينال اهتمام المبدعين على اختلاف توجهـــاتهم الفكرية ، والإيديولوجية ، بوصفه أداة حية ، يستطيع الأديب أو المبـــدع الـــذي يحاول أن يقدم رؤية ، أو أفكار ، أو فلسفات ، تخدم قضية ما ، أو فكرة سياسية كانت أو عقدية ، أو فكرية ، أو اجتماعية ، أن يطرح من خلال معطياتها الفنيـــة هذه الأفكار أو المضامين التي تحمل هـــذه الطروحـــات أو الحمـــولات الفكريـــة المختلفة ، فيطرح من خلال هذا البطل هذه الرؤى وتلك الأفكار على المتلقـــين ، فتتجه نحو قلوبهم ، وتغزو نفوسهم ، وتشكل فكرهم ووجـــدانهم ، دون عوائـــق تحول أو تمنع وقوعها في ذواتهم ، لما لهذه المعطيات الفنية من تأثير بالغ على نفوس المتلقين ، ولما لهذا البطل – في الوقت نفسه – من قدرة على تمثل كـــل تلك الحمولات الفكرية والفلسفية أو السياسية دون مباشرة أو تكلف .

من ثم ، يتبوأ البطل في العمل الأدبي سيما المسرح ، مكانة مرموقة مـــن بين مفردات البناء الفني ، إذ أنه البؤرة التي تنطلق منها الأحداث وتتوزع داخـــل البناء ، ثم تعود إليه .. فالأحداث تتولد عنه ؛ لأن الحدث فعل ، ولابد للفعل مـــن فاعل ، وهو الشخصية ؛ (البطل) في العمل الفني .

البطل في المسرحية : هو ذلك الشخص الذي يلعب دورًا رئيسًا في حركـــة الأحداث ، فهو يمثل البؤرة أو النواة ، التي تتجمع فيها الأحداث ؛ تنطلق منها ، وتتفرع عنها ، تنطلق منها الأفكار المطمورة داخلها ، بفعل الخلق أو الإبـــداع ، فتنجذب إليها الأنماط المختلفة الأخرى (الشخصيات الثانوية) ، وتـــدور حركـــة التفاعل والاشتباك في العمل الأدبي ، فتفرض سطوتها على الأحداث التي يتداولها الأشخاص ، على اختلاف مستوياتهم وهوياتهم ، بحيث يبدو الجميع وكأنهم لبنات ، تتكون منها هذه الشخصية الأم ؛ (البطل) ، ذات الحركة الفاعلة ، التي يتحرك

من خلالها وفي إطارها جميع الشخصيات ، التي تصنع الفضاء المسرحي ، الذي شكَّله الأديب ، على صورة ما .

من ثم ، يكون البطل هو الشخصية المحورية التي تدور حولها شخصيات العمل ، وتدور حولها- في الوقت نفسه – الأحداث ، وتتطور هي معه وبه ، حتى تتبلور في النهاية ، شخصية ذاتية فريدة ، لها استقلالها ، وإن كان حبلها السري متصلا بكل الشخصيات الأخرى ، التي تدور في فلكها، تستمد منها الحياة ، وتُفْرِغ في الآخرين قدرًا لا بأس به من الحيوية والنضارة ، والتي لو قدر لها أن تموت ، لماتت جميع الشخصيات التي كانت تتحرك من خلالها .

عندئذ يكون البطل في المسرحية ، واضح المعالم ، محدد السمات والأهداف، طريقه ممهد نحو الهدف الذي خلق من أجله في العمل الفني ؛ ليقول شيئًا ما ، أو يرمز إلى حقيقة من حقائق الحياة ، تؤرق الكاتب ، وتستحوذ على اهتمامه ، ... فيصبح البطل في العمل الأدبي: " تجسيدا لمعانٍ معينة ، أو يرمز لدور ما من أدوار الحياة ، ... فيكون أنموذجًا يحتذى ، أو مثالا سيئًا ، يثير النفور والاشمئزاز!! . وكلما كان البطل قريبا من الواقع ، ويحمل همومه ، وحافلا بعناصر الإقناع ، ومكتمل الملامح والسمات الموضوعية والفنية ، أصبح هذا البطل أكثر جاذبية ، وأعمق تأثيرًا ، وألصق بذهن المتلقي ، وأكثر إقناعا.."[(١)] فكم من الشخصيات عندما قُدِّمت على هذه الصورة عاشت بين الناس وتعدت هذا النحو من الإبداع (الصورة الورقية) إلى عالم الأحياء ، وتعالقت مع المتلقين ، وجذبت اهتمامهم وتعاطفهم أو حتى جلبت كراهيتهم وأثارت نفورهم . ومن ثم ، تتسرب إلى أعماقهم ، وتثير مشاعرهم ، فتخلق لها واقعا ، يتجاوز أوراق القصص ، أو شاشات العرض ، إلى حياة الناس ، وكأنها شخصيات حية ،

(١) مدخل إلى الأدب الإسلامي ص ٥٠ بتصرف ــ د / نجيب الكيلاني ــ كتاب الأمة عدد (١٤) رئاسة المحاكم الشرعة والشئون الدينية ــ أولى ــ ١٤٠٧هـ قطر .

تتنفس الواقع ، وتحياه ، في حركة دائبة ، مثل : شخصيات : (السيد أحمد عبد الجواد) وزوجه السيدة (أمينة) بطلا (الثلاثية) للأديب العالمي نجيب محفوظ[١] ، و(رأفت الجمال) البطل المصري الذي اخترق أعتى أجهزة الجاسوسية في العالم ، (الموساد الإسرائيلي) في الملحمة الدرامية (رأفت الهجان) للأديب (صالح مرسي) [٢] ، وشخصية (سيف الدين قطز) في (وا إسلاماه) للأديب (علي أحمد باكثير) [٣] " ... فهذه البطولات تجاوزت الحدود المرسومة لها على صفحات الورق أو شاشات النظارة إلى حياة الناس ، فأقنعوا أنفسهم بأنهم أحياء يعيشون الحياة عن آخرها ، بحيوية وامتلاء وفاعلية، قد لا تتوفر لكثيرين من الأحياء أنفسهم !!.

---

(١) نجيب محفوظ : ولد في عام ١٩١١م بحي الجمالية بالقاهرة ، تخرج في كلية الآداب قسم الفلسفة من جامعة القاهرة ، تقلد الكثير من الوظائف في مؤسسات مختلفة ولعل أهمها كاتبا بالأهرام . نال الكثير من الجوائز والأوسمة وآخرها جائزة نوبل في الآداب ١٩٨٨م . أثرى المكتبة العربية بالكثير من الإبداعات في القصة القصيرة والرواية وكان من أهمها : الثلاثية وزقاق المدق وميرامار وحكايات حارتنا وخمارة القط الأسود .. وصورت أكثر أعماله أفلاما ومسلسلات درامية

(٢) صالح مرسي : كاتب وروائي مصر ، ولد في ١٧فبراير ١٩٢٩مفي كفر الزيات وكان يعمل بعد تخرجه في جهاز المخابرات الحربية ، ما أتاح له الاطلاع على كثير من ملفات هذا الجهاز ، والذي صاغها في أعمال روائية صورت بعد أفلاما أو مسلسلات درامية . منها : سامية فهمي ، ودموع في عيون وقحة والحفار وملحمته الدرامية الكبيرة رأفت الهجان . ما جعله رائد رواية أو أدب الجاسوسية في العالم العربي . وافته المنية في مدينة الإسكندرية في : ٢٤/ أغسطس ١٩٩٦م .

(٣) علي أحمد باكثير: ولد في إندونيسيا عام ١٩١٠م لأبويين حضرميين . أرسله أبوه ليتلقى تعليمه بين أهله في حضرموت اليمن ثم انتقل للحجاز (الطائف ، ثم إلى مصر والتحق بكلية الآداب جامعة القاهرة ، عمل مدرسا ثم انتقل للعمل في وزارة الثقافة ، أبدع الكثير من الأعمال الأدبية من مثل : دار ابن لقمان ، و وا إسلاماه ، وهاروت وماروت ، وملحمة عمر بن الخطاب .

والبطولة في التراث العربي الإسلامي ، تحيا حياة فاعلة ، ممتلئة بالمظاهر الإيجابية المقنعة ، والمغرية بالاقتداء ، لما للشخصية العربية المسلمة ، من مقومات بيئية ، وعقدية ، واجتماعية ، تضج بها كتب التراث من شعر ونثر ، وكذلك يزدحم بها الواقع الإسلامي منذ وعى التاريخ ، وسطرت أحداثه بطولاته حتى يوم الناس هذا [١] ..

والبطولة في العملية الإبداعية . سيما، في العمل المسرحي الذي يتخذ موضوعه غالبا من حياة الناس ، ليست على صورتها في الفكر الشعبي ، أو حتى اللغوي ، فإذا نظرنا لهذا المصطلح (البطل) نجد أن التفكير يأخذ بعضا من الناس إلى كونه البطل الحربي الشجاع المقدام ، الذي يقهر الآخرين ويكسر النخوة في نفوسهم ، فيجبنوا عن مواجهته ؛ لأنه يأتي بالخوارق من الأفعال التي قد يعجز الناس عن مواجهتها !!.

البطل ، كما تخبرنا معاجم اللغة [٢] " هو الشجاع ، وسمي بطلاً : لأنه يبطل العظائم بسيفه فيبهرجها، وقيل : سمي بطلاً ؛ لأن الأشداء يبطلون عنده ، وقيل : هو الذي تبطل عنده دماء الأقران فلا يدرك عنده ثأر " .

فالبطل في هذا التصور اللغوي ــ كما رأينا ــ هو : الذي يحرز سبقا ، أو تميزا في القتال أو عند المواجهة الحربية .

أما المعجمات الأدبية المتخصصة ، فترى أن البطل [٣] : " محارب شهير ، أو إنسان يعجب به الناس ، لما له من مآثر ومكرمات ، وذلك مثل : (عنترة)

---

(١) وهذا لا يعني خلو التاريخ من الشخصيات المتصادمة مع هذه الصورة كالحجاج بن يوسف الثقفي ، ومن هم على شاكلته ممن وعى التاريخ صدامهم مع الواقع الذي يختلف مع ما نراه بطلا في وجدان الأمة .

(٢) لسان العرب لابن منظور : مادة : بطل .

(٣) معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ص : ٧٨ – مجدي وهبه وكامل المهندس – مكتبة لبنان – ثانية – ١٩٨٤م – بيروت .

عند العرب ".. والبطولة : " بسالة خاصة بكبار الشجعان " [١] . فهي لا تخرج في مجمل صياغاتها عن المعنى اللغوي السالف ، وإن راعت الجانب الروحي، أو الإنساني في ذات البطل،(لما له من مآثر ومكرمات) قد تكون له في حياة الناس بعيدًا عن حلبات الصراع أو ميادين القتال ... أما التصور الإبداعي لشخصية البطل ، فهو يختلف عن هذه المضامين المختلفة ، وإن كان يحمل في ذاته فرادة وتميزا عن بقية الشخصيات ، التي يضج بها العمل الفني . إلا أن هذا التفوق ، وهذه الفرادة ، يكتسبها البطل من حركته الدءوب ، وفاعليته في حركة الحدث الرئيس ، والأحداث الناشئة عنه ، ومعه ، حتى يكتمل لدى المبدع والمتلقي معًا ، تصورًا خاصًا لهذه الشخصية ، تستحوذ على المتلقي ، وتملك عليه حواسه ، وفكره ووجدانه ، بعدما عنيت باهتمام الكاتب ، وإخلاصه في تحديد ملامحها ، وتشكيل هويتها ، عبر الصراع المتنامي في كيان العمل الفني .

وعلى الرغم من هذا الثراء الواقعي للشخصية العربية ــ البطل ــ وهذه المقومات الهائلة للبطل العربي والإسلامي ، إلا أننا وفي الآداب خاصة ــ نفتقد هويتنا العربية والإسلامية ، إلا ما ندر !!.... وللعجب ، نجد أكثر كتابنا يعنون بشخصيات ممسوخة ، ينسبونها إلى الواقع العربي أو الإسلامي !! فينتجون شخصيات لقيطة في المجتمع الإسلامي . حيث يقوم الأديب باختيار بعض هذه الشخصيات ، ويحاول أن يلبسها ثوب العرب المسلمين ، ويبث من خلالها أفكاره، وإدعاءاته ، فينطقها بما شاء ، ويملي عليها السلوك الذي يرتئيه ، فتولد في آدابنا هذه الشخصيات الشائهة ، البعيدة في تركيبتها ومقوماتها عن التكوين البيئي والعقدي ، والاجتماعي للشخصية العربية والإسلامية ... ومما يزيد الطين بله : أن شبابنا وفتياتنا ينبهرون بهذه البطولات الشوهاء ، ويقلدونها عن قناعة

---

(١) المعجم الأدبي ص : ٥٠ جبور عبد النور – دار العلم للملايين – أولى – ١٩٨٤ ـــ بيروت .

وإيمان !! يقينا منهم أن هذه هي البطولات العصرية ، أو الحضـــارية ، وهـــم لا يدرون أنهم يحطمون أنفسهم باقتدائهم بهؤلاء الذين يعدهم المجتمع الإســـلامي ، نفايات قذرة ، ألقيت في محيطه ، كما تُلقى النفايات النووية السامة في مجتمعات الضعفاء ، والمتساهلين !! .

وليس أدل على ذلك من شهادة هذا المبدع العربي : " سهيل إدريس " الذي يرصد فيها صورة البطل ، في الفن الروائـــي العربـــي ، فيقـــول : " إن إنتاجنـــا الروائي الحديث قد أمات البطولة بمفهومها التقليدي ، ليحيي بطولة أخرى ، هي بطولة الإنسان الطبيعي ، الذي يعي الحياة الطبيعية بكل أبعادهـــا ... إن إنســـان روايتنا الحديثة ، وبطلها في آن واحد ، هو كائن يبحث عن ذاته الحقيقية ، عبر تجارب كثيرة ، يبدو فيها تائها ، غير مستقر ، يسافر طـــويلاً فـــي الماضـــي ، ويشطح إلى المستقبل ، ويبلو كثيرًا من النساء ، ويـــأثم ، ويخـــون ، ويتعثـــر ، ويحب الحب العاطفي ، والحب الشهواني ، ويخيب في كليهما ... وإذا آمن مـــرة بالقيم ، كفر بها مرات ، وإذا داعبته الأماني والأوهام ، فلا تلبـــث الخيبـــات أن تدمي قلبه ، فيكشف في أعماق نفسه يأسا وأسى ، ويستبد به قلق عظيم ..." [(١)]

فإن كان هذا هو البطل في الإبداع الأدبي العربي ، أو الشخصية المحوريـــة في العمل الفني (المسرحية) أو الإنسان الطبيعي الذي يراه ، مما أفرزته هـــذه القرائح الإبداعية ، في هذا العصر ، فإننا لا نقبل بهذا الإنسان التائه ، القلق دائمًا !! الذي يتحرك كالأعمى ، الفاقد لعصاه !!، فأي إنسان طبعي ، يعيش حياة طبعية يكون هكذا تائها قلقا لا يستقر على مرفأ ؟!. فإذا كان الأدب في إبداعه ، يســـعى دائمًا – في مفهومنا – إلى الارتقاء بالإنسان ، وقائم في تقـــديم نماذجـــه علـــى

(١) هذه الشهادات منقولة عن مجلة (الحرس الوطني) العدد ١٩٠/١٨٩ المحرم ١٤١٩هـ . مايو ١٩٩٨ مقال للأستاذ حسن حجاب الحازمي في ما نقله عن مجلة الآداب اللبنانيـــة – العدد (الأول) يناير ١٩٥٩ ص ٣٢٢ . بيروت .

الاختيار والانتخاب من المجتمع ، الذي يعايشه ويتناول قضاياه ومشكلاته ، فيسمو بالإنسان الطبعي نحو عالم البهجة والتطهر ، فهل تكون أدواته هذه الكائنات المريضة القلقة التائهة ؟! أم أن مجتمع " سهيل إدريس " لم يدب على أرضه إلا المرضى التائهون الآثمون ؟! .

ففي الأدب عامة ، والإبداع الذي ينبثق عن رؤية إسلامية كونية وحضارية خاصة، تسعيان دائمًا لإصلاح الخلل الاجتماعي ، وتنظيف الواقع المهترئ ، وتربية أفراده على الشفافية والنقاء ، في هذا الإبداع . لكننا لا ننكر – في الوقت نفسه – وجود مثل هذه النماذج أو الأنماط المنحرفة ، والمعتلة فكريًا واجتماعيًا بل ونفسيًا ، لكنها ليست النماذج التي تعبر عن المجتمع كله . فالمجتمع مليء بالأصحاء المستقيمين في السلوك ، والأصحاء نفسيا، والواعين فكريا ، والملتزمين دينيا .الذي لديهم رؤية بانية في المجتمع . والواقع يقتضي أن يكون هذا إلى جوار ذاك ؛ القوة إلى جانب الضعف ، الطهر والنقاء إلى جانب السقوط والرذيلة ، والاستقامة بجوار الانحراف ، لكن تُصَوَّر هذا البؤر المظلمة ، أو تلك البقع السوداء ، في حياة الإنسان ، على أنها لحظات ضعف ووهن .. لحظات مرض فحسب ، على هذا الإنسان أن يلتمس الشفاء منها ، حتى يبرأ وتصح نفسه، وتسلم جوارحه ، ويهتف له المبدع أو الأديب كي ينفض هذا الغبار عن نفسه ، ويستعيد فاعليته ، وحيويته ... فواقعية الإسلام " تجمع (في ذات الإنسان) بين السماء والأرض ، وبين الطبيعة المحسوسة والطبيعة غير المحسوسة ، تتطلع نحو السماء دائمًا إلى الأفق الفسيح ، إلى الحقيقة العليا التي تتعاضد مع بعض المقومات الإنسانية في التصور الإسلامي ؛ لتكون الواقع الإنساني للإنسان والحياة والكون . من ثم ، يصبح الواقع في نظر الإسلام ــ ليس هو الواقع البشري المفروض من قبل (صفوة ممتازة) أو (طبقة كادحة) أو الواقع المادي المحسوس القصير النظر، وإنما هو الواقع الأرضي الذي لا ينفصل عن الواقع السماوي بحقيقته العليا ، وروحانيته ، وإعجازه ، وقدره ؛ إنه

الواقع الإسلامي الشامل لكل عناصر الواقع القائم ، واحتمالاته غير المنظـورة أو المدركة ".[١]

فحقيقة لا تقبل المراء ، أن الناس مختلفو الطبـاع والمشـارب ، فمـنهم الصالح والطالح ، والطيب والخبيث ، إلا أننا نريـد مجتمعًـا لا يميـت البطولـة الحقيقية للإنسان ، بل يعيش الحياة بكل أبعادها ... فيكون كائنا يبحث عن ذاته ؛ تجاربه الإنسانية ، فيبدو قلقا ، ولكن هذا القلق يفضي به إلى الطمأنينة في آخـر الرحلة ، ويندم على الخطأ ، إن كفر بالقيم مرة ، آمن بها مرات ومـرات ، وإذا داعبته الأماني والأوهام ، جد في طلب هذه الأماني ، وسعى في تحقيقهـا ، فـي الإطار الصحيح ، وحطم الأوهام وداسها ، وإن تنكب الطريق في طلب الأمـاني ، عاود المحاولة مرة ومرات ، حتى تتجلى في نفسه الطمأنينة والرضا . فذلك هو البطل في المنظور الفطري الحقيقي الذي يسعى الإسلام إلـى خلقـه وتأصـيله ، ويسعى كذلك الأديب أو المبدع المسلم إلى تقديمه بوصفه أنموذجًا حقيقيًا للإنسان الذي تتجاور في نفسه المتقابلات ... ﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾ [٢] !! ، لكن هذا الإنسان دائمًا ما يسعى إلى إضاءة الأركان المظلمة في ذاتـه ، ويتجـاوز أو ينعتق من (الطينية) ، فيطمح إلى النور والنقاء (الإنسانية) ، اللذين تفرزهما خاصية (الروحية) ، فيقف في ملتقى هذين العنصرين (نقطة وسط)، تلتقي فيها الروح بالجسد ، فتفرز هذا الإنسان المثالي في نظر الإسلام ، هذا الـنمط الـذي أراده الإسلام ، وكلفه خالقه بمهام العمارة الكونية ... ولكن هـذه الشخصـيات المتهافتة المهترئة ، التي يصنعها الأدباء الـذين يلهثـون وراء هـذه النمـاذج الشائهة، هذه الشخصيات سرعان ما تهوي ، وتغيض ، وتنتهي من حياتنا إلـى

(١) الواقعية الإسلامية ص : ١٧ ، ٣٣ بتصرف. د. أحمد بسام ساعي ــ دار المنارة ــ أولى ــ ١٩٨٥ــ جدة .

(٢) سورة الشمس آية (٨) .

الأبد ، وتطفو على بساط الواقع ، هذه الشخصيات القادرة على سبر أغواره ، وتشكيل هويته ، وقادرة على التعبير عن آماله وآلامه ، فتترجم هذه الآمال أو الآلام إلى مواقف عظيمة ومؤثرة في شباب الأمة الإسلامية ، سيما إذا كان أدبنا ينتمي للأب الروحي للفكر الإبداعي ؛ الإسلام – الدين الحنيف – فيكون هذا الفكر بمقوماته المختلفة ، منطلقا لهذه الشخصيات البطولية الواعدة ، التي تصدق في التعبير عن واقع الأمة ، واستيعاب حركة التاريخ . محملة بزاد العقيدة والفكر الباني ، فيصلب عود شبابها الواعد ، فيحمل الأمانة ويسعى نحو تحقيق توازن اجتماعي ، منبثق من رغبة أكيدة في البناء والتواصل الحضاري ، الملتحم والمتآلف مع الحضارات الأخرى ، على اختلاف هوياتها، متسلحا بهذا الرافد الإيماني الذي يمكنه من الصمود في وجه هذه التيارات والأعاصير المتدافعة ، التي تواصل انقضاضها– دون تريث أو هوادة ، ومن كل صوب وحدب – على هذه الطاقات الحضارية الفاعلة ؛ طاقات أبناء الأمة الإسلامية في كل مكان وزمان !! .

فالإسلام ، دين يتماس مع الناس في قضاياهم وهمومهم ومشاكلهم اليومية، لديه من المعطيات الإنسانية والحضارية ما لو استغلها الإنسان ، لأضحى أنموذجًا مثاليًا في هذه الحياة . فالدين الحقيقي هو الذي يعتق الإنسان من التردي والتشتت والانحراف . والعبادات المتعددة التي يقدمها الإسلام للبشر ، ما هي إلا " تجارب حياتية كبرى ، قائمة على التوازن الفذ العجيب بين الأخذ والعطاء ، فالإنسان يبلغ قمة إنسانيته ، عندما يصل تلك النقطة التي يحقق فيها توازنه ، فكل نشاط أو مفردة من مفردات العبادة الإسلامية بشتى مكوناتها الإيمانية ذات فاعلية ، أو مردود إيجابي في كل ذات المسلم ، كون إيماني ، يضيء بالفضائل والقيم السامية ، التي تطبع هذه الشخصية بطابع إنساني ، يمتاز فيه المسلم عن

غيره من الشخصيات الأخرى التي تموج بها الحياة ، فيبلغ أقصى درجات الانسجام والاتزان النفسي ". (١)

هذا الإنسان ، إفراز هذه العقيدة الحضارية هو النموذج الذي يمكن أن يكون بطلا حقيقيًا ، ولا يضيره كما قلنا ــ الانحراف أو الانفلات من هذه القيم لسبب ما ، إذا ما استطاع أن يؤوب إلى رشده ، ويعود إلى حقيقته(فطرته) ... وهنا ، تصبح المهمة أكبر على المبدع . إذ يهيئ له أسباب العود الحميد ، ولا يغريه بالعدو وراء الشهوات ، أو يزين له الانفلات ، أو يدفعه نحو الانحراف . إنه يصور كل هذا – إن وجد – على أنه لحظات ضعف أو سقوط ، أو غيبة مؤقتة عن حقيقة واقعه ... إلا أن الحقيقة ساطعة ... سرعان ما ينجذب إليها ... ويستقيم في الإطار الحقيقي الذي صنعته فيه الفطرة ، وهذا ليس حُلمًا بعيد المنال، فشواهد التاريخ والواقع الحضاري للإسلام ، قَدَّمَا نماذج رائدة لرجال ملأوا الآفاق الفسيحة في كل مكان وزمان ... فالبطل المسلم : هو الأنموذج البشري الذي يتعامل مع مقدرات الأمة بإخلاص ووعي ويقين ، وينبض قلبه بحب الخير للإنسان ... لجميع البشر ، كل البشر، ويؤمن بالعدالة والقيم الأصيلة من الخير والحب والجمال ، لا يفرق بين هذا أو ذاك ، يسوسه الإسلام بمنهجه ودستوره القويم . فهو في صلاته ، كما في معاملاته .. فإسلامنا يقدم منهجا ، ودستورا حيويا على الدوام ، قادرا على مخاطبة الناس ؛ كل الناس في كل زمان، مهما اختلفت لغاتهم أو أجناسهم أو بيئاتهم . يتسع صدره للجميع دون حجر أو قسر ، ويطرح منهجه الرباني في سياسة الحياة ، وتشكيل معاملات الإنسان مع أخيه الإنسان ، وعلاقته بالكون والحياة ، دون النظر إلى الجنس أو اللون أو العقيدة ، في إطار من التشاركية والتعارف كما رسم خارطتهما القرآن الكريم .

---

(١) الطبيعة في الفن الغربي والإسلامي ص : ٧٢ د / عماد الدين الخليل ــ مؤسسة الرسالة ــ ١٩٧٧ ــ بيروت .

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (١).

فالأديب الحقيقي ، هو الذي يستطيع أن يتخذ موقفا فكريا ، أو رؤية نابعة من تصور صحيح لواقع المجتمع ، فلا يقوم بتصوير ما عليه الواقع بحجة الواقعية دون تغيير أو تعديل ، بل يقوم بتشخيص هذا الواقع ، ومحاولة سبر أغواره ، ومعالجته في إطار من هذا التصور الصحيح ، " يحاول عبر الأشكال الفنية القادرة أن يفسر ويحلل ، وينقد ويؤثر ، ويزرع الأمل في النفوس ، موحيا إليهم بالحياة الفاضلة ، التي دعا إليها الإسلام ، وداعيا إلى تأكيد التجربة الحضارية الفذة للإسلام في صناعته للمجتمعات الفاضلة .. فإن صدق التعبير ، لا يعني الرضا بالواقع المرير ، أو تكريس ما هو كائن .. إن تجسيد المأساة على أسس ومقاييس إلهية موضوعية هو الصدق ، وإن شفاء الأرواح والقلوب والعقول هدف أسمى ، وبداية صحيحة . كما أن إزالة الأنقاض والخرائب ، تمهيد لبناء صحي شامخ هو الحل . ومن ثم ، لم يُوظَّف الأدب الحقيقي في تأريث العنصرية أو الأحقاد الطبقية أو الإباحية ؛ لكنه دائمًا وأبدا ، يكون مشعل نور، ومبعث هداية، وعامل بناء، وسعادة ، ورفاهية ، وطاعة، وتآلف، وتراحم .."(٢)، فضلا عن أن الإبداع الأدبي ينهض على الاختيار والانتقاء ، ولا يقوم أبدا على النقل ، أو التصوير(الفوتوغرافي) عن الواقع أو الحياة .

فالبطل في المسرح الذي ينطلق من آفاق الرؤية الإسلامية ؛(تاريخية أو واقعية) ، هو الذي ينهل مقوماته ومعطياته من قيم الإسلام ، المتمثل لقيم القرآن الكريم ، وسيرة النبي الكريم (ﷺ) ، وسير العظماء ممن كانت لهم بصمتهم

---

(١) سورة الحجرات الآية : ١٣ .

(٢) آفاق الأدب الإسلامي ص ١٠٣ بتصرف – د. نجيب الكيلاني ــ مؤسسة الرسالة – أولى ــ ١٩٨٥ ــ بيروت .

الحضارية والإنسانية مما دونته كتب السير والتاريخ في مجتمع المسلمين ، بوصفها مصادر حضارية ، تصنع المنهج الصحيح لبناء الإنسان الحضاري .. وهذا الكم الهائل من التراث الحضاري للأمة في مصادره المتعددة ؛ المشرقة ، والمترعة بأرقى وأجمل المعاني والقيم الإنسانية السامية ، التي تتعاون فيما بينها، فتفرز هذا النبت الطيب ، الذي يخرج من الأرض الطيبة بإذن ربه ، يضارب بجذوره في تربتها الطيبة ، ﴿ وَالبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخرُجُ نَباتُهُ بِإِذنِ رَبِّهِ وَالَّذي خَبُثَ لا يَخرُجُ إِلّا نَكِدًا كَذلِكَ نُصَرِّفُ الآياتِ لِقَومٍ يَشكُرونَ ﴾ (١)... فيضئ ما بين جنبات الحياة ، ويدعو إلى التفاؤل ، وينبذ العداوة والبغضاء والتآمر ، وينأى عن النقائص والدسائس ، ويلجم نفسه بلجام الخير والحب والفضيلة ، فيرعوي عن الدنايا والنقائص ، ويتمثل كل هذه القيم الإنسانية الرفيعة ، التي تنتج مجتمعا نظيفا، قادرا على استجابات حياة خاصة ؛ إفراز هذه القيم الحضارية السامية .

فالبطل في مفهوم الإسلام ما هو إلا " استجابة لحاجات المجتمع والأمة ، وفق نواميس تكوينها التي قامت عليها ، وينبعث في وقت الأزمة من أعماقها ، ثم هو بعد ذلك يصنع الأحداث ، ويقود أتباعه إلى مرحلة جديدة من مراحل العمل البنَّاء " . (٢)

وكُتَّاب المسرح في الأدب العربي ، الذين لفت انتباههم ثراء الأحداث التاريخية ونماذجها المترعة بالقيم والأفكار الحضارية ، التي تصلح أن تُقدَّم وتُوظَّف في أعمال إبداعية ، تصنع معادلا موضوعيا لمعالجة مشكلات الواقع ، مما لم تُسعِف لغة الواقع ، ولا ظروفه أن تعالجها على نحو حيوي وناجح ، ومثير للدهشة والاهتمام ، فانبهروا بالنماذج الإنسانية في تاريخ المجتمع

---

(١) سورة الأعراف الآية : ٥٨ .

(٢) مشكلات الفكر المعاصر في ضوء الإسلام ص : ١٤٩ – أنور الجندي – مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر – عدد (٢٨)– ثانية – ١٩٩٦م– مصر .

الإسلامي ، واتخذوا من منهج الإسلام تصورًا فكريا ، ومنهجا إبداعيا ، يحاولون من خلاله تقديم تجارب إبداعية قادرة على سبر أغوار هذا الواقع ؛ الذي يعيشه ما يقرب من ثلث سكان العالم !! ، وعلى قلتهم أو ندرتهم ، لكونهم يسلكون طريقا وعرا ، ينتصب على جانبيه كثير من العوائق والمثبطات التي ليس مجال ذكرها هنا . تحاول بعض المواهب أن تثري خارطة الإبداع الأدبي بكثير من التجارب الأدبية ،التي تطمح في معالجة بعض القضايا التي تتماس مع الواقع ، على الرغم مما تُواجَه به من الصمت المريع من النقاد تجاه حركة إبداعهم !!، فلم تأخذ هذه المحاولات الفريدة والجادة حظها من الدعاية ، أو التناول النقدي المنصف ، فما وجدوا لقاء إخلاصهم لدينهم وأمتهم وقضايا مجتمعاتهم ، إلا الصمت والإغفال ، بل والتجاهل !! . فضلا عن الحرب المستعرة ، من الأدباء المرموقين ، والصفوة من النقاد في عالم الإبداع الأدبي !!، خاصة من الذين تهيأت لهم فرص تسنم منابر الفكر ، ومؤسسات النقد والدرس والإبداع ، ومنافذ النشر والانتشار في عالمنا العربي والإسلامي !! .

هؤلاء المبدعون[١] الذين أحسوا بمسئولياتهم تجاه هذه الأمة ؛ تجاه آلامها، وقضاياها ومشكلاتها ، وآمال أبنائها، وطموحاتهم في العصر الحديث ، فراحوا يشرعون أقلامهم المتوضئة في وجه التخاذل الحضاري الذي مُنِّيت به الأمة في الواقع ، فما كان منهم إلا أن ينبشوا في تراث الأمة ، وينفضوا الغبار عن نماذج

(١) أمثال : عزيز أباظة و على أحمد باكثير وعبد الرحمن الشرقاوي ، ونجيب الكيلاني ، وغيرهم الكثيرين من الكتاب الجدد ممن جمعت نتاجهم رابطة الأدب الإسلامي في أحد إصداراتها تحت عنوان : " مسرحيات إسلامية قصيرة " ، يضم بين دفتيه نيفا وأربعين مسرحية ، انشغل مبدعوها بهموم الأمة ، وأصدروا في إبداعهم عن رؤية إسلامية خالصة، ويوظفون التاريخ في تجاربهم ليبلوروا رؤية إبداعية ، قادرة على معالجة قضايا واقعهم ، دون السقوط في المباشرة أو الخطابية المملة .

إنسانية حضارية ، استطاعت بفضل التزامها ، ومسئوليتها الدينية والحضـــارية ، أن تصنع مجدا حضاريا خالدا ، وفكرا إنسانيا بانيا ومشرقا.

يرى هؤلاء الأدباء أنهم في تقديمهم لمثل هذه النماذج أن يصيبوا هـــدفين في وقت واحد، أو كما يقول العامة : عصفورين بحجر واحد !! :

الأول: هو تعريف النشء المسلم بحضارته ، ونماذجه الإنسانية الفذة فـــي أوج قوتها ، وازدهارها الحضاري ، ومدى تأثيرها في حركة التـــاريخ الإنســـاني وتشكيل نسقه الحضاري ، فتكون هذه النماذج وقودًا يمد الأمة بطاقات حضـــارية وإنسانية وثقافية هائلة .

والآخر : هو محاولة لصنع نوع من التمرد على هـــذا الواقـــع البـــائس ، ومعالجة مشكلاته ، والارتقاء فوق مثبطاته ، كي نستطيع بناء حاضر مزدهـــر ، يستوعب طاقات أبنائه المتطلعة نحو مجتمع (مثالي) بمفهومه الإسلامي ؛ قادر على تخطي هذه المراحل المهترئة ، وهذا الواقع الخرب ، المترع بالانحرافـــات ، التي أُرهقت فاعليته الحضارية ؛ لأسباب مختلفة ليس هذا مكان ذكرها.

من منطلق هذه المسئولية الحضارية ، حاول الأدباء الذين أرَّقتهم مشكلات الحياة ، ومعاناة المجتمعات الإسلامية ، فمارسوا حضورهم في الواقع الإسلامي ، واشتبكوا مع مشكلاته ، ومارسوا عملية إبداع أدبي ، كان لها دورها في تشـــكيل هوية حضارية لنتاجهم الإبداعي ، في المسرح شعرا ونثرا [١] ، فســـجلوا عبـــر تجاربهم كثيرا من مشكلات الأمة ، عبر توظيف طاقات تاريخها ، وتتبعوا تجاربه الحبلى بالأحداث ، والمترعة بالشخصيات (النمـــاذج البطوليـــة) علـــى اتســـاع خارطته الممتدة في الزمان والمكان ، والمحلقة في آفاق الرحابة الحضارية التي خلفها الإسلام بحضوره وحيويته ، التي كانت – وما تزال ، وستظل إلى أن يرث

(١) أبرز هذه الأعمال سنأتي على ذكرها في حينه من الدراسة التحليلية راجع. ص:٢٩،٣٠

الله الأرض – تضوع بإمكانات القيم والفضائل والخصائص ، التي استطاعت وما تزال – لو أفسح لها – أن تنتج مجتمعا فاعلا وحيويا ، وقادرا على الريادة والسطوع في سماء الحياة .

هذه الأعمال الإبداعية التي تعلي من شأن قيم الإسلام ، عبر أحداثها وشخصياتها ، تدعونا لمواصلة الجهد في تقديمها إلى الشباب المسلم ، في كل مكان في العالم ، حتى يعرف هذا الشباب المنبهر بالآداب الأجنبية ، ونماذجها المنحلة !!.

إن الأدب الإسلامي ؛ أدب الأمة ، قادر على تقديم البديل الأصلح والأنفع ، فتسد هذه الذرائع التي يتذرع بها هؤلاء الشباب ، في كونه لم يجد النماذج المشرقة في تراثه ، أو نتاج مبدعيه . سيما ، إذا عرفنا أن هواية القراءة اضمحلت أو انكمشت أمام الهوايات الأخرى ، المدمرة لأخلاقيات شبابنا ، والمُهدِرة لقيمه الإسلامية الفاضلة في الآن نفسه ! ، ما يجعل الأمر مسئولية حضارية ، وضرورة قومية ، وواجب ديني على المبدعين والنقاد على السواء ، في خلق تيار أدبي مواجه ، يغري بالمتابعة النقدية لنتاجاته الإبداعية في الآن نفسه .

الناظر في هذه الأعمال الإبداعية ، يجدها تستلهم التاريخ في كل عصوره ، وبكل طاقاته وإمكاناته ؛ الإسلامي منها ، وغير الإسلامي ، مما أترعت به من أحداث حاضرة أو غابرة في حياة الأمة العربية والإسلامية ، وليس هذا عجزا من هؤلاء المبدعين ، أو هروبا من مشكلات الواقع الراهن " فالفنان المسرحي (كاتب المسرحية) عندما يستلهم التاريخ ، فإنما يستلهمه ؛ ليمنحه حرية الحركة في إلقاء الضوء على مشكلات الحاضر . ومن ثم ، فإنه لا يسرد لنا الأحداث ، أو يقدم لنا الشخصيات كما استقامت في الواقع التاريخي ؛ لنعرف سِيَرَهُ ونتوه في دروبه ، فهذه مهمة كُتَّاب التاريخ ، وأجدر أن يتصدى لها

المؤرخون !! أما المبدع المسرحي فيجد لنفسه الوحي والإلهام في أحداث التاريخ (الحقائق المجردة) ، يتخذ منها نواة ينطلق منها خياله المبدع ؛ لينسج حولها من رؤيته ، ورؤاه الإبداعية . والخيال المبدع للفنان أو الأديب يكون هنا قصدا بالحدث التاريخي ، إذ أنه يبدأ بالمحسوس ، بالحدث المادي ؛ لينطلق إلى الرمز المعنوي (المثال) [١] ".

إن هذه النماذج الإنسانية التاريخية الإسلامية ، ذات النكهة الخاصة ، هي التي نعنيها هنا ، بعيدًا عن المزايدات أو المراهنات السخيفة ، مما يتلظى به الواقع من نماذج ، مسَخَها الغزو الفكري ، وشوهها التزوير الثقافي ، والأدبي بعامة ، سيما في ظروف زمانية مُنيت فيها الأمة بالانتكاسات الحضارية والسياسية والعسكرية ، فلم يعد لها من الإسلام في كثير من الأحيان ، إلا ثيابه ، أو لغته ، أو شكله ، أو أشياء تافهة ، لا تنهض به أنموذجًا حضاريا واعيًا ، أو قادرا على مسئولية التبليغ الإسلامي ، وتَحَمُّل أمانة الخلافة الحضارية في الأرض .

اهتم الأدباء بإبداع المسرحية التاريخية ، لما تمتاز به من سمات فنية وموضوعية ، جعلتها قماشة فسيحة –ـ إذا جاز التعبير – تتسع للصراع الدرامي، الذي يعنى المبدع بخلقه في العمل الإبداعي ... من ثم ، يستلهم عبرها الكاتب الأحداث والشخصيات من تاريخنا الزاخر بالأحداث ، والغني بالنماذج الإنسانية والحضارية ، حتى في مراحله المأزومة!! . هذه الخصوصية ، تضعنا

---

(١) المسرح العربي والتاريخ : دراسة في العلاقات الفنية . ص : (١١٢: ١١٣) كمال سعد محمد – (مقال) منشور في مجلة (الفيصل) عدد (٢٠١) – ربيع أول ١٤١٤هـ / أغسطس ـ سبتمبر ١٩٩٣ م – المملكة العربية السعودية . والرواية التاريخية في الأدب العربي ص : ٨ بتصرف . د. أحمد الهواري ود. قاسم عبده قاسم . دار المعارف – دت – القاهرة .

أمام مواجهة حقيقية قائمة في عملية إبداع مثل هذه الأعمال ، التي تعنى برصد الواقع ومواجهته بالتاريخ ، مما يحفزنا لأن نوضح العلاقة بين الفن بعامة ، والإبداع المسرحي بخاصة من جهة ، والتاريخ ؛ أحداثه وشخوصه ، من جهة أخرى ؛ لنرى مدى الفائدة التي يجنيها الفن في استلهامه أحداث هذا التاريخ وشخوصه ، بوصفهما الأرض الخصبة لمثل هذا الإبداع الأدبي ... من ثم ، كان لابد لنا من محاولة صنع هذه المقاربة النقدية للتعرف بهذه العلاقة ــ علاقة الإبداع بالتاريخ ــ وهل هذا يثري العملية الإبداعية ، ويحلق بها نحو آفاق جديدة ؟! أم أن هذا الاستلهام سيحد من عملية تحليق الخيال الإبداعي للمبدع المسرحي؟ ويحطم أدواته ؟ ويوقعه في المباشرة أو النقل غير المسئول ؟!! .

هذا ما ستطرحه الدراسة في المبحث التالي .

المبحث الثاني

الفن والتاريخ : التعالق والتشكيل

لعل كُتَّاب الأدب المسرحي ومبدعيه وعوا تميز التاريخ وثراء تجربته ، وخطر دوره في عملية الإبداع الأدبي ، فانكبوا على دراسته ، ومحاولة الاستفادة من إمكاناته ، وتوظيفها في تشكيل فضاءاتهم الإبداعية ، حتى ليمكننا أن نزعم : أن فنون الأدب التاريخية تمثل تيارا قويا في خارطة الإبداع الأدبي في تاريخنا العربي منذ جورجي زيدان وأحمد شوقي وعزيز أباظة وعبد الحميد جوده السحار ، ومرورا بعبد الرحمن شكري وصلاح عبد الصبور وتوفيق الحكيم وعلي أحمد باكثير ونجيب الكيلاني ، وانتهاء بالشاعر الكبير فاروق جويدة وغيرهم من كتابنا ومسرحيينا ممن لم تسلط عليهم (كاميرا) النقد أشعتها في أدبنا المعاصر!! وانتهاء بمبدعين مسرحيين إسلاميين ، عنيت بإخراج إبداعهم المسرحي إلى النور رابطة الأدب الإسلامي العالمية في أحد إصدارات مكتبها في البلاد العربية تحت عنوان : (مسرحيات إسلامية قصيرة [١]) ضم بين دفتيه أكثر من أربعين مسرحية ، لما يربو على سبعة وثلاثين كاتبا مسرحيا ، غيرجهودهم في نشر أعمال من يسمونه : رائد المسرح الإسلامي (علي أحمد باكثير[٢]) الذي انفرد بإصدار مستقل جمع بين دفتيه الكثير مما اختير من مسرحياته الإسلامية القصيرة .

---

(١) العدد (٣٩) إصدار رابطة الأدب الإسلامي العالمية – مكتب البلاد العربية – مكتبة العبيكان – أولى – ١٤٣٢هـ /٢٠١١م – (الرياض)المملكة العربية السعودية .

(٢) خصصت رابطة الأدب الإسلامي مؤتمرا مستقلا عن باكثير وأدبه ، وقامت بالاشتراك مع الهيئة المصرية العامة للكتاب ، بطبع جميع أعماله المسرحية والروائية وتوزيعها في العالم العربي والإسلامي .

وإذا كان حديثنا يدور في فلك المسرحية الإبداعية التاريخية في الأدب العربي ، فبالتالي يتمحور حديثنا حول التاريخ العربي والإسلامي منه خاصة ، فالتاريخ يعد المصدر الأكثر خصوبة من مصادر الإبداع المسرحي ، حيث يهيئ المبدعين للانطلاق نحو عالمه ، وسبر أغوار أحداثه وشخوصه ، فتضحى أحداثه حية نامية ، وشخوصه حيوية فاعلة ، وإن كانت ترتبط في كنهها بالأحداث التي ولدت من خلالها . فعبقرية الأديب (المسرحي) الذي يلجأ إلى التاريخ تكمن في قدرته على منح شخوصه ، أو " نماذجه الاجتماعية التاريخية تجسيدا إنسانيا حيا"[١] ؛ لأن الأديب الذي ينهل في إبداعه من أحداث التاريخ وشخوصه ، لابد أن ينصب اهتمامه على حياة الناس ، في الفترة التاريخية التي يتناولها ، وبعد ذلك يجسد القدر الشائع في الشخصية التاريخية من سمات أو خصائص أو طاقات ، يعرف بها في واقعه التاريخي ، المرتبط بالبيئة والزمان والمكان في تلك الحقبة ، ويُبيِّن كيف أن مثل هذه الأحداث ترتبط بمشكلات الحاضر ،" فتصبح عملية متماسكة عضويا . إنه يكتب من الناس ؛ من تجاربهم ، ومن أرواحهم"[٢]. من هنا ، يجد المبدع لدى التاريخ ، ثراءً في الأحداث والشخوص ، يمدانه بطاقات إبداعية ، ربما لا يستطيع إدراكها في الواقع ، لذا وجدنا إقبالا من الأدباء العرب، والمصريين خاصة على تاريخنا العربي الإسلامي ، المترع بالأحداث والنماذج الحية المشرقة . فمنهم من اتجه نحو التاريخ المصري القديم (الفرعوني) [٣] ، ومنهم من اتجه نحو التاريخ العربي والإسلامي ، حيث ولج الأديب النصراني " جورجي زيدان " فيما أسماه (روايات تاريخ الإسلام) ومن بعده " سعيد

---

(١) اتجاهات الرواية المصرية ص: ٢٣٥ . د / شفيع السيد – مكتبة الشباب – ١٩٨٧م – القاهرة .

(٢) اتجاهات الرواية المصرية ص : ٢٥ .

(٣) عبد الحميد جودة السحار في روايات (أحمس بطل الاستقلال) ونجيب محفوظ في (كفاح طيبة ورادوبيس) .

العريان " و " علي الجارم " و " عبد الحميد جودة السحار " ، و"نجيب محفوظ " الذي عني بالتاريخ الاجتماعي في مصر عناية فائقة ، وكذا جمال الغيطاني وغيرهم من مبدعينا في عالم الإبداع في الأدب العربي الإسلامي .

والأديب أيًّا كان نوع فنه الإبداعي ، عندما يلجأ إلى التاريخ ، لابد أن يعي جيدًا هذه المادة التي يتعامل معها في التخطيط الإبداعي لعمله الأدبي ، لما للتاريخ من سعة وثراء في الأحداث والشخصيات . وعلى الرغم من هذا الثراء ، وهذه السعة ، التي ينبغي أن تمنح المبدع حرية الاختيار والحركة داخل إطار الحدث أو الشخصية ، إلا أن هذه الحرية محفوفة بالمخاطر ، إذ التاريخ محكوم بأحداث حدثت ، ولا يملك أحد تغييرها ، والأديب محكوم – في الوقت نفسه – بمقومات العمل الفني ، الذي يستعين بالتاريخ في طرح قضية تلح على مجتمعه المعاصر ، إن الذي يكتب عن التاريخ ، كالذي يسير على حبل مشدود ، فوق حفرة عميقة ، فهو ملتزم بالتاريخ ، وفي الوقت نفسه ، مطالب بالتخلص من قبضته الحديدية !!. فالكتابة عن التاريخ تستلزم وعيا بالاختيار ، ودقة في التعبير عن الحدث الذي يبلور مع غيره الشخصية ؛ لأن الرواية / المسرحية التاريخية لا تزدهر ، أو حتى تنتشر، إلا في ظروف خاصة يمر بها المجتمع ، من تخلف أو ضعف أو تفشي المفاسد في هذا المجتمع ، فيعرض الأدباء التاريخ وما يزخر به من أحداث ، ونماذج ، ودروس ، ليؤنبوا الشعب الكسول ، ويحرضوه على التمرد والنهوض ، للتخلص من مفاسده ،والاستعلاء على ضعفه ، حيث يكون التاريخ قدوتهم ؛ لأن التاريخ يصنع مواجهة مع الحاضر ... من هذا المنطلق تصبح المسرحية التاريخية ، أو النموذج التاريخي ضرورة اجتماعية قادرة على التغيير، الذي يعد وظيفة أساسية من وظائف الفن ، وليس ترفا ثقافيا ، أو لهوًا يغري

الشباب بالدعة ، والتهام أوقات الفراغ ، أو حتى – كما يدعي البعض – تعليمهم التاريخ فحسب من خلال هذا النوع الإبداعي فحسب . (١)

وإذا كان التاريخ عاملاً مشجعا لارتياد آفاق الإبداع ، نظرا لسهولة التشكيل الفني لمادته ، دون أن يواجه المبدع بمعاناة الخلق الكامل للعمل المسرحي في شكله ومضمونه " (٢) ، إلا أن ذلك يستلزم من المبدع حسا خاصا ، ووعيا فريدا بما يقوم به ، من تشكيل لهذه المادة الهائلة من معطيات التاريخ ، فعندما يتمثل التاريخ في عملية الإبداع ، لا يعني هذا هروبا من الواقع الماثل أمامه ؛ يعايشه في إطار مجتمعه وليس خارجه ، (فما الواقع الذي نحياه إلا امتداد لهذا التاريخ) الذي يصطفي المبدع نماذجه منه . فالتاريخ يستطيع أن يمنحنا خاصية فنية أو تقنية مهمة ، يمكن تسميتها بـ (الإسقاط) حيث يستدعي المبدع حدثا تاريخيا ، وقع منذ زمن بعيد ، أو يأتي بشخصية تراثية ذات ارتباط بأحداث تاريخية معينة، من مثل تلك الشخصيات العالقة بأذهان الأمة بسلوكيات أو أفعال عظيمة ، يحاول إسقاطها على أشخاص حاليين ما زالوا يعيشون واقعنا الآن . أو يتخذه المبدع رمزا للعدول عن التعبير المباشر، فيعيد الوعي الحضاري للأمة،

---

(١) كما كان يروج " جورجي زيدان " الكاتب النصراني الذي امتلأت رواياته بالأغاليط والاتهامات الباطلة لكل رموز الحضارة والعقيدة الإسلامية . سيما ، الأبطال الذين صنعوا هذا المجد الحضاري للآمة ، في كل خطوة خطاها هؤلاء ، عندما كانوا يتوجهون إلى الدول والأمصار ، التي شرفت بالفتح الإسلامي ... فكان لهذا الكاتب النصراني المتعصب ، وجهة نظر أخرى ، في هذه الفتوحات ، وفي رموز هذه الفتوحات من الأبطال المسلمين ... الذين ألصق بهم مخازيه وهرطقاته الماجنة ، في الوقت الذي أسند فيه البطولات والقيم النبيلة ، لرهبان الأديرة والمسيحيين ، فضلا عن اليهود ... والمطالع لرواياته تصدمه هذه الافتراءات والأكاذيب المنسوبة زوراً وبهتاناً لهذه النماذج الإنسانية المختلفة.

(٢) الواقعية في الرواية العربية ص : ٨٥ د . محمد حسن عبد الله – دار المعارف –١٩٧١م – مصر .

ويوقظ مشاعرها نحو تاريخها ، ونماذجها الناضجة المشـرقة ، ذات الحضـور الممتلئ حركة وفاعلية في ذاكرة الأمة ؛ لتصوغ حاضرها على منواله ، من حيث القوة والحضارة ، ذلك أن التاريخ بمثابة ذاكرة الأمة ، وبقدر مـا تسـلم للأمـة ذاكرتها ، وتحسن التعامل معها ، بقدر ما يمتد تأثيرها ، وتبرز قدراتها ، وتقوى شخصيتها "[١].

فالأديب ؛ مسرحيا أو روائيا ، يلجأ إلى التاريخ ليربطه بما يحتمل ويقع في مسرح الحاضر ، من قضايا ومشكلات ، فيعبر خلالها عن آمال الأمة وطموحاتها، ذات الاتصال الوثيق بالحاضر المعاش باهتماماته وتعقيداته . وكثيرا ما تتشـابه هذه الأحداث والشخصيات ، فهناك (أمور مشتركة في الحياة تعلو فوق خصائص الزمان والمكان وتلك في الغالب هي الملتقى الذي يجتمع فيه المفكرون والكُتَّـاب من كل جنس ، عـندما يستخدمون التاريخ في الفن) [٢].

وعلاقة المبدع المسرحي بالتاريخ ، لا تقوم على القسر أو التكلف ، لكنهـا تقوم في مجملها على التفاعل الخالق ، بين ذات الأديب والحـدث التـاريخي أو الشخصية ، وذلك وفقا لوعيه الاجتماعي التاريخي بواقعه ، وبالدور الذي يؤديه في هذا السياق ؛ لأن الأدباء عندما يقدمون هذه المحاولات ، يقـدمون النمـاذج الرائدة لشعوبهم ، فتشكل هويتهم ، وتبرز وتتفرد شخصيتهم ، فيتجهـون نحـو مسارهم الحضاري الصحيح ..

والأديب المسرحي عندما يلجأ للتاريخ ، يستلهم شخوصه ، لا يكتفي بنقلها من مظانها التاريخية ، لكي يعرضها علينا دون هدف أو مغزى فني من هذا النقل

---

(١) المسلمون وضرورة الوعي التاريخي ــ عبد القادر عبار . مقال منشور في مجلـة الأمـة عدد (٤٢) جمادى الآخرة (١٤٠٤هـ). سابق .

(٢) الإسلام وحركة الحياة ص : ١٢٨ . د . نجيب الكيلاني – مؤسسة الرسـالة ــ أولـى – ١٩٩٠– بيروت .

... فهذا مكانه كُتُب التاريخ لا الفن ، بل إنه عندما يختار الشخصية التاريخية المناسبة ، في إبداعه الأدبي ، ينبغي أن تكون هذه الشخصية ذات دلالة نفسية أو أخلاقية أو اجتماعية أو سياسية أو غير ذلك .. ثم يحاول أن يعرض تلك الدلالة في بناء فني متكامل ، تتحقق فيه السمات الفنية للعمل الفني الناجح ملتزما تصورًا صحيحًا لهذه الشخصية في علاقاتها مع الناس الآخرين ، ومع الكون بكل ما يحوي من مخلوقات أخرى ، فيجيء العمل الفني متكاملاً ومتسقا مع نسقه الفني ، متميزا بالحيوية والصدق في إطاريه الفني والفكري ... " فإن كلمات الصدق والورع والشجاعة والإيمان إذا جاءت بمفردها عارية من الإشراقات الروحية (الجمالية) التي يشعها البناء الفني ، أصبحت مجرد كلمات مملة لا توحي بشيء " . (١)

فالتاريخ ــ إذن ــ يمنح الأديب حرية من نوع خاص ، داخل الفضاء المسرحي ، عند التشكيل أو البناء ، على نحو يجعله قادرا على الصدع بالتغيير أوالتمرد ... فالفن والفنان ، بهذا المستوى الواعي بمضمون العمل الإبداعي ، " يجدان لنفسيهما الوحي في أحداث التاريخ وظواهره وأبطاله ، فيتخذان من هذه الأحداث / الظواهر / الشخصيات التاريخية ، نواة ، ينطلق منها خيالهما الفني الخلاق ، وينسجان حولها من رؤيتهما ورؤاهما الإبداعية ... وهنا يكون الخيال الخلاق لدى الفنان الذي يتصرف في الشخصية التاريخية ويعدها لخدمة غرضه ، مقيدا بالإطار التاريخي العام الذي يغوص خلال أحداثه وظواهره وأبطاله ، فيبدأ منها بالماثل تاريخيا وواقعيا ، لينطلق صوب الرمز المعنوي (المثال) ، ولا ضير أن يبتكر شخوصا وأحداثا فرعية في الإطار التاريخي العام لتحقيق هدفه

(١) الإسلامية والمذاهب الأدبية ص : ٢٥ د . نجيب الكيلاني ، مؤسسة الرسالة ــ أولى ــ ١٩٩٠ – بيروت .

الفني" [١] ، على أن تكون الحقائق نصب عينيه ، والشخصيات في إطارها المرسوم ، والقائم فنيا وتاريخيا ..

وعلى ذلك ، فإن مراعاة أسس الإبداع الفني ، لا تعني إهدار الحقائق ، أو لي عنقها ، بما ينأى بها عن الصدق ، ويضعها في مكان يخرج بها عن الحقيقة التي يراها الفنان نفسه ... " فالكاتب بما هو فنان مبدع ، لابد أن يترك لخياله أن يلعب دورا مهما في رسم الشخصية ، ورسمه للشخصيات يعتمد كثيرا على فهمه لشخصيته ، وعلى قدرته على تمثل دور الشخصية التي يريد رسمها ، وعلى تصور التصرفات التي قد تصدر عن شخصية من الشخصيات ، تحت ظروف معينة ، معتمدا في ذلك على القياس . ولهذا ، فإن حدود رسم الشخصية (المسرحية) ، لا تقتصر على النطاق الذي تجول فيه الملاحظة المباشرة ، أو على المعلومات التي تنحدر إلى الكاتب من مصادره الثانوية ، بل يعتمد اعتمادا كبيرا على إدراكه لإمكانات الشخصية الإنسانية ولطاقاتها الكامنة ، وهذا الإدراك يتوقف على فهمه لشخصيته ، وقدرته على استبطانها ، والفطنة إلى أحاسيسها الداخلية ".[٢]

من هنا يتعالق الفن مع التاريخ في إبداع الأدب(المسرح) ، فينظر الأديب إلى الشخصية مثلا ، وينفعل بها ، أو يتفاعل معها ، من زاوية خاصة لا نستطيع أن نفصلها عن مشاعر الفنان ، ومواقفه الذاتية وانتماءاته الفكرية ، وتصوراته الفلسفية ، وقيمه العقيدية ؛ بل ومزاجه الشخصي ، وتأثره بوجهة نظر ذات طبيعة متميزة . فهو يفسر التاريخ ، ويعلق عليه ولا ينقله .. من ثم ، يودع أفكاره في عمله الفني ، خلال هذا البطل ، أو ذاك الحدث التاريخي المقتبس ،

---

(١) بين الأدب والتاريخ ص: ١٤ بتصرف . د / قاسم عبده قاسم ... كتاب الفكر (٧) دار الفكر للدراسات والنشر ــ أولى ــ ١٩٨٦ ــ القاهرة .

(٢) فن القصة ص :٩١ ، ٩٢ محمد يوسف نجم . بتصرف .

أو قل : المعدَّل عن طريق الخيال ، الذي يمنح الأديب القدرة على صياغة المادة التاريخية بصورة معينة ، وفق منطق معين ؛ لأنه يرتبط بعملية التشكيل في البناء الفني ، تلك التي تمثل قدرة الروائي على التخيل الإبداعي العقلي ، الذي يصوغ المادة التاريخية ، إذ تبقى الصورة التي يرسمها ، أو يتحكم فيها هذا الخيال الإبداعي ، الذي يصوره الاستدلال العقلي البحت ". (١)

وهنا ، يلتقي – عند هذه النقطة – المؤرخ بالأديب المسرحي ، فكل منهما يرمي إلى رسم صورة تتألف من عدة عناصر ، بحيث تنطوي على حكاية ، أو قص الأحداث ، ووصف المواقف ، وعرض الدوافع أو البواعث ، وتحليل السلوك، أو فعل الشخصيات في البيئة وانفعالها بالأشياء ... كما أن كليهما يرمي إلى تقديم صورة كاملة من حيث التماسك والتناسق ، بحيث تبدو كل شخصية ، وكل موقف حلقة متصلة ببقية الشخصيات والمواقف ، كي تسهم بتضافرها في تكامل أبعاد الصورة ، فنشعر من خلال تصوير كليهما للشخصية ، أنها ما كان لها أن تتصرف في هذا الموقف إلا بهذا الأسلوب المعين ، الذي ينبع من طبيعة الموقف الذي تحيا فيه ، وإدراكها العقلي لهذا الموقف (٢) .

وليس هذا معناه : أن يسير التاريخ مع الفن (في المسرحية) في خطين مستقيمين ، يتوازيان ولا يتقابلان ! . فدرجات الوعي عند المبدعين تتفاوت بين " الاستغراق في الحدث التاريخي ، واستعادته في نسق جمالي يدل على الحدث / الشخصية ، كما وقع في الماضي ، أو تحويره بما لا يخرج به عن سياقه الأصلي. وقد يتصاعد وعي الكاتب إلى حد امتلاك نظرة نقدية تأملية ، تتيح له

---

(١) الرواية التاريخية في الأدب العربي الحديث ص : ٨ . د / قاسم عبده قاسم ، د/أحمد إبراهيم الهواري – دار المعارف – ١٩٧٩– مصر .

(٢) الواقع والتاريخ ص : ٢٣٧ / اعتدال عثمان ــ فصول عدد (٢/٣) يوليو ١٩٨٢م– القاهرة .

قدرا من الانفصال . ومن ثم ، قدرة على ربط الماضي بالحاضر والوصول إلى القوانين الكلية ، التي تحكم التاريخ " [١] ، فيما نعرفه بفلسفة التاريخ .

فالتاريخ في جملته ، ليس هو الحوادث التي تقع ، أو الحروب والثورات التي تشتعل فحسب ، إنما هو تفسير لهذه الحوادث ، والاهتداء إلى الروابط الظاهرة ، والخفية التي تجمع بين شتاتها ، وتجعل منها وحدة متماسكة الحلقات، متفاعلة الجزئيات ، ممتدة مع الزمن والبيئة امتداد الكائن الحي في الزمان والمكان .. ولكي يفهم الإنسان (المبدع) الحادثة ويفسرها ، ويربطها بما قبلها وما تلاها ، ينبغي أن يكون لديه الاستعداد لإدراك" مقومات النفس البشرية جميعها : روحية ، وفكرية ، وحيوية . ومقومات الحياة البشرية جميعها : غيبية، ومعنوية ، ومادية . وأن يفتح روحه ، وفكره ، وحسه للحادثة ، ويستجيب لوقعها في مداركه ، ولا يرفض شيئاً من استجاباته لها ، إلا بعد تحليل وتمحيص ونقد [٢] " ..

والوعي بالتاريخ ، يستلزم سبر أغواره ، وليس هيكلته وتشكيله في عمل يقلل من أهميته ودوره الفاعل في تنمية الفعل الحضاري في المستوى الرفيع . فالتاريخ هو وعاء لفعل الأمة ، وتسجيل لحركاتها ، ومدى فهمها لقيمها ، واستجابتها لها ، وقدرتها على تنزيلها على الواقع ، " .. فقراءة التاريخ دون القدرة على دراسته وتقييمه بشجاعة وأمانة وموضوعية ، لا تمنحنا الرؤية الكافية لقوانين السقوط والنهوض ، ولا تمنحنا التبيين والاهتداء والاتعاظ والوقاية الحضارية ، المشار إليها في قوله تعالى : ﴿ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ

---

(١) نقد الرواية في الأدب العربي الحديث في مصر .ص : ٦٢، ٦٣ . بتصرف . د . أحمد الهواري – دار المعارف – ثانية – ١٩٨٣ ــ مصر .

(٢) من كلام منسوب لسيد قطب مجلة الأمة عدد(٣٨) صفر ١٤٠٤هـ / نوفمبر ١٩٨٣ م . الدوحة .

فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ المُكَذِّبِينَ*هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (١) .

فالإفادة من التاريخ في الإبداع الأدبي(المسرح) ، إنما تكون بالقدرة على معايرته ، وبيان (بؤر) الضعف والانحراف فيه ، وتحديد أسبابهما ، واكتشاف السنن التي تحكم الحياة والأحياء ؛ لتحقيق الدرس والعبرة ، للوصول- من ثم - إلى الحصانة الحضارية ، وتحقيق الاستجابة للتكليف الشرعي ". (٢)

فالأديب عندما يتسلل في دهاليز التاريخ ، ينبغي أن يكون على وعي تام ، وإدراك واع ، بمهامه المنوطة به ، من خلال الطرح الأدبي للتاريخ ؛ أحداثًا وشخصيات . فلا يسرف في المباشرة والوعظ ، حتى لا يحدث الانفصام بين عمله والذين يتلقونه ، ويأملون أن تتحقق سعادتهم ومتعتهم ، من خلال معايشتهم لهذا العمل حتى يستردون وعيهم . فعندما يَضْمُر أحدُ الحِسَّين ؛ الفني أو التاريخي لدى الفنان ، يحدث هذا الانفصام الذي يورث العمل الفني الفشل ، أو الموت . فالعلاقة لابد أن تكون قائمة في وعي المبدع ؛ بين إبداعه ومادته ، التي تشكل هذا الإبداع . وكلما قويت هذه العلاقة بين الفن والتاريخ ، بين الشكل والمضمون، منحت العمل الإبداعي الحياة والتواصل ، والخلود في عالم الإبداع . وهنا " عند هذه النقطة ... يكمن وجه الشبه بين مهمة (الأديب) ومهمة المؤرخ ، فكل منهما يهدف إلى رسم صورة تتألف من عدة عناصر بحيث تنطوي على حكاية أو قص للأحداث ، ووصف للمواقف ، وعرض للدوافع أو البواعث ، وتحليل لسلوك أو فعل الشخصيات . كما أن كليهما يهدف إلى تقديم صورة كاملة

---

(١) الآيتان ١٣٧ ، ١٣٨ من سورة آل عمران .

(٢) ما بين الأقواس مقتطفات من مقدمة كتاب الأمة الأستاذ عمر عبيد حسنه " قيم المجتمع الإسلامي من منظور تاريخي جزء أول للدكتور / أكرم ضياء العمري كتاب الأمة عدد ٣٩ وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية ــ قطر .

من حيث التماسك والتناسق ، حيث تبدو كل شخصية ، كل موقف ، عبارة عن حلقة متصلة ببقية الشخصيات والمواقف ، لكي تسهم بتضافرها في تكامل أبعاد الصورة ، فنشعر، من خلال تصوير كليهما للشخصية ، أنها ما كان لها أن تتصرف في هذا الموقف إلا بأسلوب معين ينبع من طبيعة الموقف الذي تحيا فيه، وإدراكها العقلي لهذا الموقف . كما يجب أن ينطوي الإبداع الأدبي ، كما ينطوي التاريخ على مغزى ، بحيث لا يقحم في أحدهما تفصيل لا يفرضه منطق الأحداث. والذي يقرر هذه الضرورة المنطقية هو الخيال من جانب ، ورؤية المؤرخ أو الأديب أو موقفهما من التاريخ من جانب آخر . وزاوية الرؤية هذه تحدد موقفهما سواء المؤرخ أو الأديب من أحداث التاريخ ، ودور القادة والحكام ، وتأثير العلاقات الاجتماعية ، والصراعات الطبقية ، والمؤثرات الباطنة التي قد لا تظهر على السطح ، ويكون لها – مع ذلك – تأثيرات عميقة في مجرى التاريخ[١] ".

من خلال هذه العلاقة القائمة ، بين ماهو فني وما هو تاريخي ، تتبلور العلاقة التي نراها في ثمرة هذا التعالق من نتاج الإبداع الأدبي ؛ مسرحا كان أو قصة أو شعرا ، ما يجعل التاريخ مصدرا خصبا من مصادر الإبداع المسرحي ، لكونه غاصًّا بالأحداث والنماذج الإنسانية ذات الحضور الطاغي على مسرح الأحداث .

من هنا ، وجد الأدباء أنفسهم مدفوعين نحو هذا الثراء ، بوصفه مادة متسعة الجوانب رحبة الأبعاد ، تحدوهم دوافع فنية وفكرية ، من أهمها :

(١) سهولة العثور على مادة أو موضوع ، يصلح نواة لعمل أدبي . إذ أن تاريخنا يزدحم بالشخصيات القادرة ، وتستطيع أن تُحَمَّلَ بأفكار وقيم بانية في المجتمع ، وكذلك الأحداث الملهمة للمفكرين والمبدعين ، والتي تحمل بين جنباتها الكثير من الحمولات الفكرية والطاقات الحضارية .

---

(١) نقد الرواية في الأدب العربي الحديث في مصر ص : ٦٣ . بتصرف . سابق

(٢) إحياء القيم والثوابت الإنسانية للأمة في تاريخها المُشرق ، والمترع بقيم الحب والخير والعدل والحرية ، والفضيلة في أسمى معانيها ، والمحصنة بحضارة الوحي والوعي .

(٣) محاولة لبعث النماذج الحية ذات العطاءات الحضارية الحية في تاريخ الأمة التي أهيل عليها التراب .

(٤) إظهار المواقف المشرفة ، وبؤر الضوء والإشعاع الحضاري، وغيرها من الجوانب الحيوية والمضيئة في تاريخنا العربي والإسلامي . سيما ، ونحن نعيش واقعا مترعا بالهزائم ، والتضعضع الحضاري ، والانحسار على كافة المستويات السياسية والعسكرية والاجتماعية والثقافية والعلمية ، وحتى الاقتصادية بالرغم من الغنى الزائف لبعض شعوب الأمة !!.

(٥) تحقيق نوع من التواصل الفني ، الذي يتجاوز الطرح المباشر للقضايا التي يزدحم بها مسرح الحياة في عالمنا .

(٦) حماية لوجودنا الفكري والثقافي في " التراث " الرصين ، وحمايته من التيارات الوافدة ؛ تيارات الغزو الفكري الأجنبي ، " فوعينا بذواتنا ، يقضي حتما أن نعرف ماضينا ، وأن حياتنا اليوم لا يمكن أن تقوم إذا بترت منها أصولها ، أو أُبعدت عن ثرائها الحضاري والإنساني، المقيم في الدين والتراث الأصيل . فلا يجرؤ واع على الزعم : أنه بإمكاننا الاستغناء عن قديمنا (تراثنا) ، لا لكونه تسجيلا لوجداننا ووجودنا التاريخي فحسب ، ولكن كذلك ، لما له من أثر في تكوين ذوقنا ووجداننا وبناء شخصيتنا على مر العصور وتتابع الأجيال ". [١]

---

(١) قيم جديدة للأدب العربي ص ٨ ، ١٤ بتصرف . د / عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) دار المعرفة ــ أولى ــ ١٩٦١ ــ القاهرة .

في ضوء هذا التصور الإبداعي لعملية بناء مسرحية فنية ، تستمد مادتها من التاريخ ، راح أكثر مبدعينا من المسرحيين ، يمدوننا بفيض من طاقات إبداعية قادرة على تشكيل وجداننا ، ومعالجة الكثير من قضايانا ومشكلاتنا المعقدة ، وتطرح رؤيتنا للواقع ، ومعرفة معالجته وفق تصورنا الذي يهدف للبناء والتقدم ، في الوقت الذي تسعى فيه الكثير من الأفكار الرائجة نحو الهدم والتخريب !! . ينتخبون من النماذج والشخصيات ما يمكنها أن تتواصل مع المتلقين ، وهي تنبض بالأفكار والرؤى ، والحث المتواصل والدؤوب على تغيير الواقع الذي يدعي أنه يُطَاوِلُ الماضي العظيم !... فالفن الحقيقي : " ما كان مزيجا من التعبير الناجح ، الذي يقيم بين ثناياه أفكارا حية ، نابضة ، تتسم بالإيجابية المجدية "[(١)] ، فتنطلق الشخصية التاريخية من عالم (التاريخي) ، إلى عوالم (فنية) مصورة ، ترفض القهر والتسلط ، وتحمل على جناحيها الدعوة للقيم والفضائل ؛ من حرية ، وخير ، وعدالة ، ومساواة ، وجمال ، وبناء . وتحفز على نفض التراب الذي أهيل على حضارة الأمة ، فتتجلى النماذج النابضة الحية المشرقة ، والبطولات المضيئة ، في حياة الأمة التي بإمكانها أن تقدم الأنموذج / القدوة الذي هو شأن عملية الإبداع ، وهدفها الرصين ... فالإنسان في التصور الإسلامي ، هو غاية الأدب ، وحين يزدهر الإنسان في هذا العالم تتفجر إمكاناته ، وطاقاته الإبداعية ، ورؤاه الفكرية ، فيتدفق عطاؤه في كل اتجاه، حيا ، فياضا ، ونابضا في مجتمعه ، في كل زمان وكل مكان ، فيحفز الآخرين على النهوض والتمرد ، على كل ما هو من شأنه أن يزهق روح هذا المجتمع أو يقضي عليه ؛ من مفاسد أو ضعف ، فيمحو الخراب ويذيل العطب ، ويقضي على الزيف ، فتشرق شمس النهار تحمل أملًا مشرقًا ، ، وطموحًا جديدًا، قادرًا على البناء ومبشرًا بالازدهار .

---

(١) مقدمة رواية اليوم الموعود ص ٥ د / نجيب الكيلاني . مؤسسة الرسالة – ثالثة – ١٩٨١– بيروت .

فالاحتماء بالتاريخ ، أو محاولة البحث والتنقيب عن شخصيات أو بطولات قادرة على تقديم أنموذج إنساني ، فريد قادر على المواجهة . سيما ، في زمننا ؛ زمن الخنوع ، والانبطاح ، زمن الانحسار الحضاري المريع !!؛ هـذا الاحتمـاء يحقق المعادلة الصعبة ، في الزمن الصعب ، فيصبح هذا الإبداع ، طريقًا أو أداة للبناء ، طريقا للتواصل الفني والإنساني الذي يتجاوز الطرح المباشـر للقضـايا المحتدمة في الواقع .

من ثم ، تصبح " مهمة المبدع ، لا تكمن في توصيل المعارف التاريخيـة ، أو تقديم صور " فوتغرافية " ميتة ، لأشخاص عاشوا في زمن سحيق ، أو حتـى قريب !! ؛ لكنها (تكمن في تحقيق نوع من التأثير والجمالية) ، الذي لا يستطيع الفن أن يصنع شيئًا بدونهما ، أو يحظى هذا الإبداع بالإقنـاع لـدى المتلقـي ، ومحاولة التأثير به إلى الحد الذي يحقق قناعة ، بأننا : قادرون على إيجاد مثـل هذه النماذج الحضارية ، وإثبات ذلك للآخر أو مواجهته . سيما ، فـي صـراعنا الأبدي مع القوى المناوئة في كل زمان ومكان ، الذين تداعوا علينا من كل صوب وحدب ، كما تتداعى الأكلة على قصعتها !!؛ ينهشـون لحومنـا ، ويسـرقون مواردنا ، وينهبون أموالنا ، وأخيرًا يغروننا ، ويغـررون بأبنائنـا،أو يـدفعوننا للارتداد عن ديننا دون حياء أو هوادة !.

من هنا ، يصبح تقديم مثل هذه الشخصيات – البطولات التاريخية – فـي الإبداع الأدبي (المسرحي) ضرورة اجتماعية ، ومهمة قومية ، وثراء فنـي ، يحتم كل هذا على المبدعين ، تقديم النماذج الرائدة في تاريخ شعوبنا الإسـلامية على امتداد خارطتيها في الزمان والمكان ، ذلك التاريخ المتـرع بالانتصـارات ، والقيم الحضارية ، في محاولة لربط حاضر الأمة بماضيها ، وعبر هذا الـربط ، تتبلور هوية شبابنا ، وترتقي أفكارهم ، وتتجه أشرعتهم نحو المسار الحضـاري القويم ، من خلال صنع هذه المواجهة بين الواقع والتاريخ الحضاري .

الفصل الثاني

الدراسة التحليلية

وفيه مبحثين :

المبحث الأول : النص الأدبي :

(مماليك للبيع) للدكتور عبد الحميد إبراهيم .

المبحث الثاني : المسرحية : تحليل ونقد .

إن المتابع الجيد لحركة الإبداع المسرحي في أدبنا العربي ، سيما ما انعطف منها نحو التاريخ ؛ يوظف طاقاته وإمكاناته ووسائطه أو آلياته ، التي يبرز من بينها البطل أو الشخصية البطل ، التي تصنع الحدث أو تشارك فيه ، سواء أكان هذا الحدث أو الفعل إيجابيا متناغما مع الفكرة أو الرؤية الحضارية لتشكيل الشخصية التي تعبر عن قيم أو خصائص التصور الإسلامي للعملية الإبداعية ، أو كان سلبيا ، ليسهم في توصيل فكرة يدأب المؤلف المسرحي أن يصنع منها قضية، يحاول أن يبلور من خلالها فكرة ، يراد للمتلقي أن ينفر منها أو يتجاوزها؛ ليسلك الطريق الآخر، المتصادم معها . وهنا نكون قد أعدنا إلى الإيجابية بريقها ورونقها كي يفطن لها ، ويتأثر بها ، ويفيد من تصورها . فيعود إليه وعيه ، ويعالج ما عطب من تفكيره . فمن خلال البطل والحدث وعبر آلية الصراع ، سنفيء بوصفنا متلقين لهذا الفن إلى مرفأٍ أو شاطئٍ ، تستعيد فيه النفس توازنها ، وتنطلق إلى الآفاق الرحبة في سماوات الخير والحب والجمال .

أثرى الكتاب والمبدعون المسرحيون خارطة الإبداع بكم وفير من المسرحيات ، التي عالجت قضايا واقعية من خلال أحداث تاريخية ، فنجحوا أن يتماسوا أو يشتبكوا مع قضايا المجتمع ، من خلال هذه التجارب المترعة بالقيم الحضارية ، والقضايا الإنسانية ، والبطولات الحيوية ، القادرة على صناعة التغيير نحو الأفضل ، والارتقاء بواقع الحياة في المجتمع ، إلى أفق يؤصل للمتعة والسمو والارتقاء والتعلم . ولا نكاد نجاوز الحقيقة كثيرا لو قلنا: إن المسرح في أدبنا العربي بدأ تاريخا، فأمير الشعراء عندما قدم تجربته في عالم المسرح شعريا كان أو نثريا ، كان التاريخ ملاذه الأثير ، وهو يبدع مسرحياته التاريخية وشبه التاريخية ؛ النثري منها أو الشعري ، وهي : (كليو باترا ، وقمبيز ، وعلي بك الكبير، وأميرة الأندلس[١]، ومجنون ليلى ، وعنترة) . وبالرغم من تنوع مسرح

(١) هذه المسرحية كتبت نثرا وما عداها كتب شعرا .

شوقي من حيث مصادر مادته ، ومن حيث أساليب معالجته ،" فإن المتأمل لهذا النتاج في مجموعه يستطيع أن يستشف صدور شوقي في هذا عن مبدأ أخلاقي ، يحكم نظرته إلى التاريخ أو ما يشبه التاريخ من جهة ، وفهمه لوظيفة المسرح من جهة أخرى . فهو فيما يختار من أحداث تاريخية ، يدير حولها بعض مسرحياته ، يكون مدفوعا بمشاعر وطنية، وأعراف وتقاليد اجتماعية ، يستهدف تعميقها في نفوس جماهيره ، وتأكيدها في ضمائرهم(١) " .

ثم تلاه واقتفى أثره الأديب المسرحي (عزيز أباظة) فكانت تجربته لا تتجاوز كثيرا تجربة معاصره أحمد شوقي ، والتي دارت في فلك التاريخ ولم تتجاوز مضماره ، فأبدع من المسرحيات التاريخية (العباسة – أخت الرشيد– ، والناصر، وشجرة الدر، وغروب الأندلس ، وقافلة النور ، وقيصر) وهذه الأخيرة تتصل بالتاريخ اليوناني .

ثم جاء من بعده (علي أحمد باكثير) الذي دفع حركة الإبداع المسرحي المتكئ على التاريخ أو الذي وظف خلاله أحداث التاريخ ، فكان له نتاجه الغزير في عالم الإبداع المسرحي ، من أهمها : أحلام نابليون ، وإخناتون ونفرتيتي ، وأوزوريس ، وحرب الباسوس ، ودار ابن لقمان ، والدودة والثعبان ، وغروب الأندلس ، ومأساة زينب، وهكذا لقي الله عمر ، وعلى أسوار دمشق ، وأبطال القادسية ، وأبطال اليرموك ، وغيرها ، من المسرحيات التي تنطلق من رؤية ربما مختلفة عن سابقيه ، وإن كانت لا تتجاوز البعد الوطني والحضاري للتصور الذي يضبط رؤيته لعملية الإبداع ، وفق منهجية الإسلام الذي يشكل العلاقة بين الإنسان وأخيه الإنسان ، ثم بين الإنسان وخالقه ؛ الله (ﷻ) ، وبين والإنسان والكون ، بكل مفرداته وطاقاته . هذا فضلا عن المسرحيات القصيرة التي قد

(١) الأعمال الكاملة (المسرحيات) لأمير الشعراء: أحمد شوقي ص: ١٢ من تقديم الدكتور عز الدين إسماعيل – الهيئة المصرية العامة للكتاب –١٩٨٤م – مصر .

يصعب حصرها لكثرتها ، تتوزعها مصادر كثيرة ، وهي تُعنى – في غالبيتها كذلك – بالتاريخ العربي والإسلامي.

ثم عاصره كذلك متخذا منهجه ، وسلك دروب تصوره في عملية البناء ، وتعالق التاريخ مع الفن في إبداعه الأديب (نجيب الكيلاني) إلا أن نتاجه المسرحي كان محدودا بالنسبة لنتاجه الروائي ، أو المجموعات القصصية القصيرة ، فوجدنا له مسرحية (على أسوار دمشق ، والأسود العنسي ، وله رواية عن تاريخ الكفاح المسلح بين المسلمين والمسيحيين الصليبيين في صربيا، في العصر الحديث ، موسومة بـ (سراييفو حبيبتي).

وبعده أبدع الأديب والشاعر المسرحي(عبد الرحمن الشرقاوي) [1] رائعتيه التاريخيتين الأشهر: (الحسين ثائرا ، والحسين شهيدا). التي تناول فيها موضوع الحكم والسياسة ، وأثر ذلك على القضايا الاجتماعية في المجتمع المسلم في واقعها التاريخي . ومن ثم ، فهي ليست قضية تاريخية بالمعنى الحرفي للعبارة ، ولكنها قضية الإنسان في كل زمان ومكان ، نجح الشرقاوي إلى حد كبير ، وعبر أدواته الفنية أن يوظف الأحداث التاريخية وشخصية الحسين في أن يعبر عن مأساة المتعبين والمعذبين والمظلومين في الحياة . من خلال متاعب الحسين (عليه وعلى أمه وأبيه وجده الصلاة والسلام) ، ومعاناته في خوض المعركة ، انتصارا للقيم ، والمعاني التي آمن بها .

وهكذا كل يوم يضاف إلى هذا الفن أو الإبداع أعمال تضيء الجوانب المظلمة في حياتنا ، تستلهم التاريخ ؛ أحداثه وشخوصه ، لتعيد إلى ذواتنا وعينا بوجودنا ، وتكشف عن إمكانات جديدة ، ومعالجات قادرة على استعادة هويتنا ،

---

(١) وله مسرحية بعنوان : محمد رسول الحرية ، والتي تنهض على سيرة الرسول الكريم محمد (ﷺ) ، وهذه لا نعدها رواية تاريخية لكونه (ﷺ) ماثلا في حياتنا ، وحاضرا في وجداننا ، وقائما في واقعنا . ومن ثم ، لا يمكن بحال أن تكون سيرته تاريخا .

واستنطاق تراثنا ، واكتشاف مناطق الأصالة والرصانة في معطياته الحضارية ، وعطاءاته الإنسانية ؛ لكي ندبر لقاءً بين ما هو واقعي وما هو تاريخي ، عبر رؤية أو تصور فكري أو عقدي ، يطمح في بناء وجداني لإنسان حضاري ، متكئ على طاقات هائلة من القيم والخصائص ، التي صنعت تاريخا لأمة ، أبهر حضورها يوما ما العالم .

إن المتابع والمتتبع لحركة الإبداع ، وما يوازيها من حركة نقد ، تتفاعل مع كل ما يند أو يولد من نتاج مسرحي ، لمواهب رصينة وخيال وهاج ، يجد أن كل هذا التراث الإبداعي الذي تزدحم به خريطة الإبداع ، يدرك ثراء تجربة الإبداع المسرحي في المناخ الإبداعي العربي والمصري منه خاصة .ربما بدرجة لم تتسارع حركة النقد لتغطيتها ومتابعتها وتحليل محتواها والوقوف على أمارات الإبداع فيها . ومن ثم ، وجدتني أبحث عن كتاب مسرحيين من هذا النوع ممن قد تجاهلتهم حركة النقد ، أو لم تتوقف كثيرا عند إبداعاتهم ، فكان أن عثرت بمسرحية من النوع القصير للأكاديمي والناقد الدكتور (عبد الحميد إبراهيم[١]) بعنوان : (مماليك للبيع) تتكون من ثلاثة مناظر منشورة في مجلة (الأدب الإسلامي) [٢] .

---

(١) سبقت ترجمته في هامش : (٤) .

(٢) مماليك للبيع (مسرحية)ص : (٧٠: ٧٢) مجلة الأدب الإسلامي (فصلية) – تصدرها : (رابطة الأدب الإسلامي العالمية) – العدد(٥) السنة (٢) رجب / شعبان / رمضان : ١٤١٥هـ / ديسمبر/ يناير/ فبراير ١٩٩٥م . المملكة العربية السعودية . وأعيد نشرها في كتاب الرابطة رقم (٣٩) مع نظيراتها من المسرحيات التي نشرتها مجلة (الأدب الإسلامي) في كتاب بعنوان (مسرحيات إسلامية قصيرة) مكتبة العبيكان – أولى – ٢٠١١م – الرياض .

العمل في هذا الفصل يتصل بمحورين في مبحثين :

الأول : يعرض للنص الإبداعي مسرحية (مماليك للبيع) للمبدع الـــدكتور عبد الحميد إبراهيم .

الآخر : الدراسة التحليلية النقدية لإبراز البطولة وهي تتطور عبر عمليـــة التعالق بين ما هو فني وما هو تاريخ ، وفق رؤية حضارية تنبثق من التصـــور الإسلامي لبناء مثل هذه الشخصية ؛ القدوة والأنموذج في الإبداع المسرحي .

المبحث الأول : النص :

مسرحية : مماليك للبيع !! (١)

د. عبد الحميد إبراهيم

المنظر الأول

[مكان بمسجد وقد ظهرت حلقة من حلقات الدروس يتوسطها شيخ ذو لحية جميلة تبدو عليه المهابة، وقد تناثر حوله مجموعة من تلاميذه ومريديه] .

الشيخ (مستمرا في وعظه) :

– " ..... وقد أمرنا الله تعالى بأن نأخذ فوق أيدي الظالمين ، وألا نستكين لهم ولا نستلين ، وإذا ولوا أمرًا من أمورنا ، فيجب أن ننتفض عليهم ، ولا نستجيب لهم ، والساكت على الظلم كفاعله ، وفاعله في النار .

أحد التلاميذ : وماذا ترى يا شيخنا في هذه الأنباء الأخيرة ؟.

الشيخ : أي نبأ تعني يا بني ، فما أكثر الأنباء في عصرنا ؟ .

التلميذ : ألم يأتك نبأ بيعة الظاهر بيبرس حاكما على مصر؟

الشيخ : لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، أليس من العجب العجاب أن يلي أمورنا رقيق يباع ويشترى ! أليس من العجب أن نبايع هذا العبد حاكما علينا !

---

(١) مسرحيات إسلامية قصيرة – رابطة الأدب الإسلامي العالمية – مكتبة العبيكان – أولى – ٢٠١١م – الرياض .

(يرفع يديه إلى السماء) اللهم إني أعاهدك على أنه لا طاعة لهذا العبد حتى يخرج من رقه . (ثم يلتفت للحاضرين) :

– وأنتم أيضا عاهدوا الله على ذلك .

الجميع (بصوت واحد يرتج له المسجد) :

– اللهم إنا نعاهدك على أنه لا طاعة لهذا العبد حتى يخرج من رقه .

تلميذ آخر : وقد سمعنا أنه أرسل إليك الرسل الكثير ، ولكنك امتنعت عن الذهاب إليه .

الشيخ : قلت للرسل حين ذاك :

– من يريدني فها أنا ذا في حلقتي بالمسجد ، وليس لي عند بيبرس فاذهب إليه ، فإن كان لبيبرس حاجة عندي ، فليأتني في حلقتي وبين تلاميذي .

(وبينما هم في حديثهم ترتفع ضجة عند باب المسجد ، ويتهامس الناس بأن الظاهر بيبرس قد أقبل ليزور الشيخ عز الدين بن عبد السلام) .

الظاهر بيبرس (داخلا وحوله أتباعه) :

– السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

الشيخ : السلام على من اتبع الهدى .

(يجلس بيبرس ، بينما يستمر الشيخ في وعظه ، وتلاميذه في جواره) .

الشيخ : وقد توعد الله الظالمين بالكثير من كتابه ، فقال : ﴿ وَلا تَحسَبَنَّ اللَّهَ غافِلًا عَمّا يَعمَلُ الظّالِمونَ إِنَّما يُؤَخِّرُهُم لِيَومٍ تَشخَصُ فيهِ الأَبصارُ[1] ﴾ ،

(١) الآية (٤٢) من سورة إبراهيم .

والظلم أنواع ، وشر أنواعه ما كان صادرا من والٍ ، وقد أمرنا الله بـــأن ننكـــث العهد مع هؤلاء الظالمين .

بيبرس : وهل حدث مني ظلم لرعيتي حتى تمتنع عن مقابلتي ؟.

الشيخ : ومتى كان لك رعية حتى تظلمها ؟

بيبرس : أتنكر ذلك وقد بايعني أهل المشرق وأهل المغرب ! .

الشيخ : ولكن لم يبايعك عز الدين وتلاميذه .

بيبرس : كيف ذا ، وقد قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّـــهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ..[1]﴾ .

الشيخ : قال (منكم) ولم يقل : عبيدكم .

بيبرس : لقد زدت وغاليت .

الشيخ : وهل في الحق زيادة ؟

بيبرس : ليس من الحق أن تخاطب الحاكم هكذا؟

الشيخ : لست أخاطب حاكما .

بيبرس : (وقد خفض من صوته) :

- وما الذي يمنعك من أن تتخذه حاكما .

الشيخ : لأن الحر لا يتخذ العبد راعيا .

---

(١) تتمة الآية : فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّـــهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنـــتُمْ تُؤْمِنُـــونَ بِاللَّـــــهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ وهي تحمل رقم (٥٩) من سورة النساء .

بيبرس : وإذا ثبت أن العبد حر .

الشيخ : إذن فقد بايع الحرُّ حرًّا .

بيبرس : إنك تثق في هذين العالمين من أصدقائك .

ثم لأحد أتباعه :

– استدع هذين العالمين إلى مجلس الشيخ عز الدين بن عبد السلام .

(بعد لحظة يدخل العالمان ، فيستقبلهما الشيخ واقفا ، ثم يجلسان ويجلس)

الشيخ (موجها كلامه للعالمين) :

– أتشهدان على أن الظاهر بيبرس قد خرج من رقه .

العالمان : اللهم إنا نشهد على ذلك .

بيبرس (وقد تهللت أساريره) :

– وماذا ترى إذن .

الشيخ : إذن فقد بايع عز الدين وتلاميذه الظاهر بيبرس ، علـــى أن يعمـــل بكتاب الله وسنة نبيه ، وأن يسعى لصالح الرعية .

(ينحني بيبرس على يد الشيخ مودعا ثم ينصرف) .

المنظر الثاني

[في بيت نائب السلطان ، وقد اجتمع أمراء المماليك يتشاورون ، وتظهر في غرفة مجاورة (جلنار) ابنة نائب السلطان ، تتسمع على ما يقولون] ..

أمير : عجيب أن نسمع بهذه الأنباء !

ثانٍ : وهل يجاهر بهذه الأنباء ، أظنه قد أصيب في عقله .

ثالث : ربما يكون الأمر مجرد نادرة من نوادر الشعب المصري ، فما أكثر نوادره ، خصوصا هذه الأيام .

نائب السلطان (جادا) :

– ولكن السلطان قد أخبرني بهذا ، وبأن الشيخ إذا عزم على أمر فلا راد له إلا الله .

رابع : وقد علمت بأن أفتى بأن تصرفاتنا في البيع والشراء والزواج والعقود باطلة مردودة .

خامس : وقد مررت البارحة بتجار هذا الحي ، فأشاحوا عني بوجوههم .

سادس : وقد طلبت من أحدهم ابنته ، فقال : حتى يأذن الشيخ .

أحدهم (ضاحكا) :

– وأنت يا فيل ما أحسنك شكلا ، حينما يجرك النخاس في السوق وينادي: (مملوك للبيع ، متمرن على حمل الأثقال) .

آخر (ساخرا) :

– ولكن بطنه ستصرف عنه المشترين ، فهم لا يريدون أن يخزنوا فيها الأطعمة .

آخر (متهكما) : ولكن لا ننسى أن شخيره يطرد اللصوص .

نائب السلطان (جادا) : أتمزحون وعز الدين بن عبد السلام يريد بيعكم، ووضع ثمنكم في بيت المال .

أحدهم (ضاحكا) :

– ولكن ما دام معنا هذا الفيل ، فمن سيشترينا .

الفيل (وقد تنبه) :

– الفيل على كل حال خير من الحمير .

نائب السلطان (وقد هب واقفا) :

– صه ! كيف يتجرأ علينا ، ونحن سادة الأرض ، والله لأضربنه بسيفي .

(وتسمع جلنار وهي واقفة في الغرفة المجاورة تهديد أبيها فترتعد فرحا ، فقد أحست منذ الساعة بأن هذا أقوى من أبيها ومن الأمراء جميعا ، وخسارة أن يذهب ضحية غرورهم ، وبينما هي تحاور نفسها يأتيها صوت أبيها صائحا) :

– جلنار ، جلنار ، أين أنتِ ؟ .

جلنار (تقبل) : أبتِ ، ماذا تريد ؟

نائب السلطان (واقفا) : السيف ، أين سيفي ، علي به (جلنار لا تتحرك) لماذا تقفين هكذا كالتمثال تحركي (جلنار صامتة) ماذا جرى لـــك يـــا جلنـــار ؟ تحركي وائتيني بسيفي .

جلنار (بصوت خفيض) :

– ماذا تريد يا أبتِ .

نائب السلطان (متعجبا) :

– أريد سيفي ، فماذا دهاكِ ؟

جلنار (متسائلة) :

– ولماذا تريد سيفك ؟

نائب السلطان : لم أعهدك قبل اليوم تسألين ، (بصوت عالٍ) :

– خليل ، خليل، ائتني بسيفي (موجها كلامه لجلنار) :

– أما أنت يا جلنار فاذهبي إلى سريرك واستريحي ، سأخرج لشأن ثم آتيكم .

المنظر الثالث

[الشيخ عز الدين في بيته ، سرير قد تناثرت عليه بعض الكتب ، مصباح يرسل شعاعا خافتا ، وبجواره ابنه يتحادثان ، ثم يسمعان طرقا على الباب .]

الشيخ : انظر من الطارق يا بني .

الشاب (وقد أطل من كوة) :

- إنه شيخ ملثم يا أبتِ .

- الشيخ : افتح له ، فلعله ضال يريد مأوىً ، فإنها لساعة متأخرة من الليل.

(يتقدم الابن ويفتح الباب ، يندفع الملثم داخلا ويقف أمام عز الدين لاهثا ، عز الدين يتلطف به ويجلسه) .

عز الدين : إنها ليلة سعيدة أن تشرفنا يا أخا العرب (لا يجيب) .

عز الدين : إلى أين تقصد في هزيع الليل يا أخا العرب (صامت)

عز الدين (لابنه) :

- علينا بمشروب يا بني (ثم للملثم) أي الشراب تختار (ولكنه لا يجيب) .

ثم يلقي الرجل باللثام ، ويباغت الشيخ عز الدين وابنه ، فقد وجدا أمامهما امرأة كاملة الأنوثة) .

المرأة :لا تستغربا ، فأنا جلنار بنت نائب السلطان .

عز الدين (وقد استرد هدوءه)) :

- فهل يحق لنا أن نسأل عن الذي جاء بك في مثل تلك الساعة المتأخرة من الليل .

جلنار :إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك ، فاخرج إني لك من الناصحين .

عز الدين : أفصحي يا ابنتي !

جلنار : إن أبي والأمراء يأتمرون بك ليقتلوك ، وسيأتي أبي بعد لحظة ليضربك بسيفه .

عز الدين : (هادئا) :

– لا تُرَاعِي يا ابنتي ، فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون .

عز الدين: لابنه (بصوت فيه شيء يحس به الابن) :

– ائتنا بمشروب يا بني ، فإنها الليلة ضيفك .

(يجلس الثلاثة يتحادثون ، الفتاة يكاد حرصها يفضحها ، والشيخ يتحدث بصوت فيه شيء يوحي به إلى ابنه ، أما الابن فهو ساهم واجم ، ثم يسمعون طرقا على الباب فيهب عز الدين واقفا) .

الفتاة (تتشبث به) :

– بربك لا تخرج ، ابق على حياتك ، فسأنظر من الطارق .

الشيخ (بصوت يبدو فيه الإيمان) :

– ولكنك يا ابنتي تمنعيني من شيء أريده منذ أمد بعيد .

الفتي : بربك يا أبت ! لا تبرح مكانك ، فسأنظر أنا من الطارق .

الشيخ (بصوت فيه عتاب) :

– يا ولدي ، أبوك أقل من أن يقتل في سبيل الله .

(ينفلت الشيخ منهما ، ويندفع نحو الباب ، يتبعه الفتى والفتـــاة ، وبقلـــب ثابت يفتح الشيخ الباب ، فيرى على عتبته فارسا مدججا بالسلاح ، يرفع الفارس سيفه ليضرب به هامة الشيخ ، ولكن يده ترتجف لهيبة الشيخ) .

الفارس (يجثو على قدمي الشيخ ، ويقول بصوت يختنق من البكاء) :

– اعف عني ، سامحني ، لقد أخطأت .

الشيخ (يترفق به ويوقفه) :

– قف، فكثيرا ما تخطئ النفوس ، ولكثير أيضا ما تتسع الصدور .

الفارس (وقد وقف خاشعا خاضعا) :

– لك كل ما تريد ، افعل كل ما تريد ، افعل كل ما تريد ، لك كل ما تريد .

(يرفع الفارس بصره ، فيقع على شخص خلف الشيخ فينكره ، ثـــم يقـــع عليه ثانية فيبصره ، وتدور به الدنيا ، ويمسك رأسه بيديه) .

جلنار (بصوت فيه فرح) :

– أبت ، أبت . (ولكنه لا يجيب) .

جلنار (ترفع من صوتها) :

– أبت ، أحمد الله ، وأشكر نعمته .

الفارس (يخاطب نفسه) :

– جلنار ، أين أنا ، وأين هما ، لقد تركتها في مخدعها تنعم في أحلامهـــا (يصرخ) لقد جننت، لقد ذهب عقلي ، أيها الشيخ اعف عني ، سامحني ، لقـــد جننت ، أين أنا من جلنار ،أيها الشيخ سامحني ، اعف عني .

الشيخ (متلطفا) : لا تُرع ، فأنت بخير إنها جلنار ابنتك ، لقد سبقتك هنا إلى منزل الشيخ .

الفارس (وقد فهم) : إن لك عقلا لا يسلمك إلا إلى الخير .

الشيخ (يخاطب الفارس) :

– هل تجيبني إلى شيء أطلبه منك أيها الصديق .

الفارس : لك كل ما تطلب .

الشيخ : هل هناك مانع من أن تصاهرنا .

(يظهر الفرح على وجه جلنار ، ويصبح أبوها مسرورا)

الفارس : لم نصل إلى هذه المنزلة .

الشيخ : إنني أريد ابنتك لابني .

(يظهر السرور على وجه الفتى ، ويتغير وجه جلنار)

الفارس : لك كل ما تريد ، إنها ابنتك .

جلنار (مطرقة إلى الأرض ، وبصوت فيه حياء) ! :

– ولكنني لا أريد الزواج إلا بمن اختار قلبي، وقطعت الطريق من أجله ، وتحملت في ذلك ما تحملت .

الشيخ (وقد فهم) :

– ولكنني في سن أبيسك .

الفتاة (بصوت فيه رجاء) :

– ولكن هذا ما اختارته نفسي لأكون دائما قريبة من الشيخ .

الشيخ (للفارس) :

– هل توافق .

الفارس (مغتبطا) :

– نعم ما اخترت يا ابنتي ، إنك لحصيفة العقل .

(يضم الفارس ابنته إلى صدره ، ويواري الفتى وجهه وهو يغالب دموعه) .

ستار الختام

المبحث الثاني

المسرحية : تحليل ونقد

إن هذه الدراسة تُعنى بعملية التعالق بين ما هو فن ، وما هو تاريخ ، بوصف الفن طاقة إبداعية ، أو نشاطا إنسانيا ، يسعى نحو الارتقاء بالإنسان ، والسمو بذوقه ، وتنشيط خياله الإبداعي ، وإثراء القيم الإنسانية والحضارية ، إضافة إلى ما ترسخ في وجدان الإنسان ، أو توارثه من قيم ترقى به نحو القدوة، وتسمو به إلى مصاف الإنسان الأنموذج ، ذي الدور الفاعل في حركة الحياة وبنائها ، والمرسخ – عبر تفاعلاته – للقيم الحضارية الأصيلة ، والمبادئ الإنسانية الرصينة ، التي تسمو بالفكر وتنمي الذوق ، وترتقي بالوجدان، وتدفع بالعواطف نحو السمو والارتقاء . وكذلك بوصف التاريخ ثروة قومية ، تحمل طاقة فكرية وموضوعية هائلة ، تحدب على تربية الإنسان ، وتصويب مساره في الحياة ، ويقدم – في سخاء – تلك النماذج الإنسانية الحضارية في أوج انتصارها، فيدفع نحو كل ما يثري حركة الإنسان في الحياة ، ويعالج واقعها ، ويسهم في حل مشكلاتها ، وفق رؤية – عبر التجربة – تتيح للمتلقي الانطلاق نحو آفاق الحضارية والتفاعل الإنساني البناء تنضح بالجمالية التي يتغاياه الإبداع ، والتي لا تخرج في مساقاتها عن أن تكون مدخلا إلى الارتقاء بالروح والذوق ، والسمو بالنفس ، وملهبة للعاطفة ، ومنشطة للوجدان ، ومحركة للفكر ؛ كي يجول فيما هو أبعد من المظاهر الحسية . فالقيم الجمالية تحمل على جناحيها ما يعمق هذه القيم ويُقوِّمها ، ويجعلها وسيلة للمتعة والسعادة والطمأنينة والخير في هذه الحياة " [١] .

---

(١) الأدب الإسلامي : مقاربات في النظرية والإبداع . بتصرف . ص : ١٢٤ د. كمال سعد محمد خليفة – طبعة دراسية لطالبات كلية البنات الإسلامية بأسيوط – ٢٠١٨م – أسيوط .

إن الكاتب المسرحي (عبد الحميد إبراهيم) في مسرحيته (مماليك للبيع) يعي أهمية إبداعها في وقت ربما كان الواقع في حاجة لأن يصدع بأفكار وقيم ، ربما لم يكن باستطاعته ، أو لم تتوفر له الحرية في أن يقدمها بصورة تتجاوز طبيعة الفن أو الخيال !! . فحاول عبر تجربته هذه أن يصنع هذه الجديلة الفنية – لو جاز التعبير– ليقدم صورة أو أنموذجا حضاريا للعَالِم العَامِل ، الذي أُترِع تاريخنا بنماذجه الحضارية ، التي أطبقت أخبارها ومواقفها الصلبة الآفاق ، في الدعوة إلى بناء القيم الحضارية في المجتمع الإسلامي ، مما يسعى إلى تحقيقه من مهمته في الحياة ؛ من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والاشتباك مع المجتمع في شتى قضاياه ، سواء منها ما يتصل بالراعي (الحاكم) ، أو ما يتصل بالرعية (المحكومين) ؛ مجتمعا أو أمة ، إلى جانب العلم والفقه والتنوير.

من هنا ، كان اختيار الكاتب للبيئة (مسرح الأحداث) مصر(جوهرة التاج العربي وبيضة الإسلام !) في عهد المماليك (طغمة الحكم الفاسدة) ؛ الذين ظهروا على الناس ، ومارسوا العسف والجور في حكمهم ، وساروا في الرعية سيرة غير محمودة ، في مجمل تاريخهم !!. ولعل الكاتب كان يشير – بهذا الاختيار، ومن طرف خفي – إلى شيء ما ، يحدث في وقته (...) [1] !! من هذا الذي كان يحدث من الحكام المماليك في علاقتهم في حكم المصريين في ذاك الوقت ، فربما لم يجد غير العَالِم المقدام الملقب في التاريخ بـ (سلطان العلماء، وبائع الأمراء) الشيخ العز بن عبد السلام [2] ؛ ذي الشخصية الممتلئة بالطاقات والإمكانات الحضارية والإنسانية ، القادرة على أن تطرح حمولاتها الفكرية ، التي

---

(١) المسرحية كتبت في مقتبل حياته عندما كان طالبا في المرحلة الثانوية من تعليمه وهو المولود في عام : ١٩٣٥م والمتوفي في :٢٠١٢م .. وهذا يرجح أنها كتبت ما بين عامي: ١٩٥٢م و ١٩٥٤ م .

(٢) بقت ترجمته في هامش (٦) ..

تكشف عن جوهر أو أنموذج العالم ، وما يجب أن يكون عليه العالم في المجتمع الذي يحيا فيه . ومن ثم ، يصبح الأقدر على تقديم هذ الأفكار للأمة في صياغة واقعها الآني ، لكي يصنع ما نسميه بـ (الإسقاط) على أحداث الواقع ، الذي يعيشه الكاتب ، أو نعيشه نحن المتلقين .!!

فالبطل العَالِم (العز بن عبد السلام) صاحب سيرة مشرقة ، ومواقف عظيمة ومواجهة ، وعاها التاريخ ، وسجلتها سطوره بأحرف من نور ، وأصبحت نبراسا يهتدي به العلماء في أقطار الأمة ، وكلما ساءت العلاقة بين الحاكم والمحكومين ، تجد الناس يتذاكرون المتخاذلين ممن ندعوهم بـ (علماء الأمة) ، وتتجه أنظارهم صوب المتماهين منهم مع السلطة ، والسائرين في ركابها ؛ عادلة كانت أم ظالمة !! ؛ ليذكروهم بتلك النماذج الحاضرة في ذاكرة الأمة ، ووعاها تاريخهم ، بتلك المواقف الناصعة البياض ، للشيخ العالم الشجاع العز بن عبد السلام ، وأمثاله من العلماء الحقيقيين ، والقادة العظام في تاريخنا المجيد .

الكاتب التقط من كل تلك المواقف الناصعة للشيخ (العز بن عبد السلام) موقفا ، وعته كتب التاريخ ، وأكدت عليه ، في صفحاتها الناصعة. وهو : إفتاء الشيخ بأن أمراء المماليك أرقاء. ومن ثم ، ينبغي بيعهم ، ووضع أثمانهم في بيت مال المسلمين !!. ولا يصح لهم بيع ، ولا شراء ، ولا زواج من أحرار . وأخذ لا يعترف – وهو قاض – بكل معاملاتهم ، فلم يُمضِ لهم منها شيئا ، وهنا أُوغِرت صدور هؤلاء الأمراء بما فيهم نائب السلطنة ، فحرضوا السلطان عليه، فاستدعاه وأغلظ له القول . فما كان من الشيخ إلا أن حمل متاعه على حمارين ، وغز السير نحو الخروج من مصر ، فمشى وراءه خلق كثير من الرجال والنساء ، وخرج معه العلماء والصالحون والتجار وأصحاب الحرف ، فبلغ الخبر السلطان ، وقيل له : متى خرج الشيخ (العز) ذهب ملكك . فركب السلطان بنفسه واسترضاه

وطَيَّب خاطره ، ورجاه أن يعود ، فقَبِل الشيخ بشرط أن يتم بيع الأمراء والأرقاء!! . فوافق السلطان . فلما علم بذلك كبير الأمراء ونائب السلطنة ، ذهب يسترضيه ليعود عن فتواه ، فرفض الشيخ ، فاستشاط غضبا وشحذ سيفه وأقسم ليقتلنه !! ولنترك الشيخ السبكي يحكي لنا ذلك [١] :

" وهم جماعة (المماليك) ذُكر أن الشيخ لم يثبت عنده أنهم أحرار ، وأن حكم الرق مستصحب عليهم لبيت مال المسلمين ، فبلغهم ذلك ، فعظم الخطب عندهم فيه ، وأُضرم الأمر ، والشيخ مصمم ، لا يصحح لهم بيعا ولا شراء ولا نكاحا ، وتعطلت مصالحهم بذلك ، وكان من جملتهم نائب السلطنة ، فاستشاط غضبا ، فاجتمعوا وأرسلوا إليه . فقال : نعقد لكم مجلسا ، ويُنادى عليكم لبيت مال المسلمين ، ويحصل عتقكم بطريق شرعي ، فرفعوا الأمر إلى السلطان ، فبعث إليه فلم يرجع ، فجرت من السلطان كلمة فيها غلظة ، حاصلها الإنكار على الشيخ في دخوله في هذ الأمر ، وأنه لا يتعلق به ، فغضب الشيخ وحمل حوائجه على حمار وأركب عائلته على حمار آخر ، ومشى خلفهم خارجا من القاهرة ، قاصدا نحو الشام ، فلم يصل إلى نحو نصف بريد إلا وقد لحقه غالب المسلمين ، لم تكد امرأة ولا صبي ولا رجل لا يؤبه إليه يتخلف ، لا سيما العلماء والصلحاء والتجار وأنحاؤهم ، فبلغ السلطان الخبر، وقيل له : متى راح ذهب ملكك ، فركب السلطان بنفسه ولحقه واسترضاه وطيب قلبه ، فرجع ، واتفقوا معهم على أنه يُنادِي على الأمراء . فأرسل إليه نائب السلطنة بالملاطفة فلم يفد فيه ، فانزعج النائب ، وقال : كيف يُنادِي علينا هذا الشيخ ويبيعنا ونحن ملوك الأرض ؟ والله لأضربنه بسيفي هذا . فركب بنفسه في جماعته وجاء إلى بيت الشيخ ، والسيف

---

(١) طبقات الشافعية (٧٢٨ – ٧٧١) ج٨/ ٢١٦ وما بعدها بتصرف واختصار– للشيخ تاج الدين أبي نصر عبد الوهاب السبكي. تحقيق الأستاذين : عبد الفتاح محمد الحلو ومحمود محمد الطناحي – دار إحياء الكتب العربية (الحلبي) – دت – القاهرة .

مسلول في يده ، فطرق الباب ، فحرج ولد الشيخ ، أظنه عبد اللطيف ، فرأى من نائب السلطنة ما رأى ، فعاد إلى أبيه وشرح له الحال ، فما اكترث لذلك ولا تغير، وقال : يا ولدي ، أبوك أقل من أن يُقتَل في سبيل الله . ثم خرج كأنه قضاء الله قد نزل على نائب السلطنة ، فحين وقع بصره على النائب ، يبست يد النائب وسقط السيف منها ، وأرعدت مفاصله ، فبكى وسأل الشيخ أن يدعو له ، وقال : يا سيدي ، خَبِّرْ (إيش[1]) تعمل ؟. قال : أنادي عليكم وأبيعكم . قال : ففيم تصرف ثمننا ؟ قال : في مصالح المسلمين . قال : من يقبضه ؟ قال : أنا . فتم له ما أراد، ونادى في الأمراء واحدا واحدا ، وغالى في ثمنهم ، وقبضه وصرفه في وجوه الخير، وهذا بما لم يُسمع بمثله عن أحد، رحمه الله تعالى ورضي عنه " .

هذا هو الحدث / الموقف كما صورته كتب التاريخ ، حاول الأديب المسرحي أن يوظفه عبر الوسائط أو الآليات الفنية التي تسهم في تشكيل عمله الإبداعي ، أي يأخذ الحدث من التاريخ ، ويُعمِل فيه موهبته الفنية ، مدعومة بالخيال ، فيبدع عملا فنيا موصولا بوقائع التاريخ ، وقوائمه سائخة في تربته ، لكنه ليس صورة عنه، أو موافقا له . فالأديب يأخذ من التاريخ أو الواقع ويضفي عليه من نفسه ، وخبرته ، وتجاربه ، ورؤيته الخاصة ، ويطرح على مادته بمعنى أنه : " يتخذ من الأحداث أو الحقائق التاريخية المجردة نواة ينطلق منها خياله المبدع ؛ لينسج حولها من رؤيته الإبداعية . والخيال المبدع هنا يكون قصدا بالحدث التاريخي ، يخلع عليه من الحياة ما يجعله ذا دلالة خاصة ، قد تكون نفسية أو أخلاقية أو اجتماعية أو سياسية ، ثم يحاول أن يعرض تلك الدلالة في بناء فني متكامل ، تتحقق فيه السمات الفنية للمسرحية الناجحة ، منطلقا من تصور صحيح للكون والحياة والإنسان ، فيجيء عمله الفني (شكلا ومضمونا) عفويا منسابا ، علاقته بآليات الفن وعطاءاته ، لا تقوم مطلقا على القسر والتكلف والإكراه ، ولا تعترف

---

(١) أي شيء تفعل ؟ .

أبدا بالمدرسية أو الوعظ أو المباشرة .." إن كلمات الصدق والورع والشجاعة والإيمان إذا جاءت بمفردها عارية من الإشراقات الروحية والجمالية التي يشعها البناء الفني ، أصبحت مجرد كلمات مملة لا توحي بشيء "[١] .

فالأديب (عبد الحميد إبراهيم) وهو يحاول تقديم هذا الحدث ، وهذا البطل، في رائعته (مماليك للبيع) ، يصنع هندسة خاصة به في تشكيل الفضاء الإبداعي، فالمسرحية القصيرة تختلف في بناء فضائها عن المسرحية الطويلة ، وهي التي قد تتزاحم عبر فضائها الشخصيات والأحداث . تتجلى عبر مناظرها الثلاثة ، عددا من تلك المواقف أو الأفكار والقيم الحضارية للبطل ، التي تسهم في بلورة شخصيته ، فيظهر عبر مشاهدها ، وكأنه بطل أسطوري ، يستحق كل ما عرف عنه تاريخيا ، بأنه سلطان العلماء ، الصلب ، الذي لا يلين في مواجهة الحاكم الظالم ومماليكه .

* من أهم هذه المواقف :

١) الموقف من البيعة .

٢) المجاهرة بالنصح للراعي ومواجهته بما فيه من عبوديته التي لم يتيقن من خلع ربقتها عنه .

٣) الاعتراف بالحق والإذعان له دون مواربة أو تردد .

٤) الشجاعة في مواجهة المماليك الأرقاء في كل عصر، مهما علا شأنهم في السلطنة أو الإمارة .

٥) العفو عند المقدرة . في غير ما حق يضيع لآخرين أو للأمة .

---

(١) المسرح العربي والتاريخ (مقال) كمال سعد محمد ، بتصرف فيما نقله عن كتاب المسرحية لعبد القادر القط ص: ٥١، وفي النقد الإسلامي المعاصر لعماد الدين خليل ص: ١٨٩ والإسلامية والمذاهب الأدبية لنجيب الكيلاني ص : ٢٥ .

٦) الإنصاف في الحكم على الناس .

* أما الشخصيات فكانت كالتالي :

١) البطل الشيخ عزالدين : خطيب مسجد عمر بن العاص وقاضي القاهرة والوجه القبلي .

٢) الظاهر بيبرس : سلطان مصر.

٣) نائب السلطنة .

٤) جلنار: ابنة نائب السلطنة .

٥) عبد اللطيف ؛ ابن الشيخ عز الدين .

٦) مجموعة من الأمراء المماليك .

الأديب (عبد الحميد إبراهيم) قسم المسرحية لثلاثة مناظر رئيسة ، لكل منظر منها مكانه الخاص به ، وكذلك الشخوص الذين يتحركون في فضائه ، ويتحملهم المكان ، ولا ينبو بهم . هكذا :

* **المنظر الأول** : مكان بمسجد وقد ظهرت حلقة من حلقات الدروس يتوسطها شيخ ذو لحية جميلة تبدو عليه المهابة ، وقد تناثر حوله مجموعة من تلاميذه ومريديه.

* **المنظر الثاني** : في بيت نائب السلطان ، وقد اجتمع أمراء المماليك يتشاورون ، وتظهر في غرفة مجاورة (جلنار) ابنة نائب السلطان ، تتسمع لما يقولون .

* **المنظر الثالث** : الشيخ عز الدين في بيته ؛ سرير قد تناثرت عليه بعض الكتب ، مصباح يرسل شعاعا خافتا ، وبجواره ابنه يتحادثان ، ثم يسمعان طَرقا على الباب .

فكل منظر من هذه المناظر الثلاثة كان له مكانه ، الذي تجري فيه أحداثه ، فبدا وكأن المكان جزء من هذه الشخصيات ، أو أن الشخصيات كانت من منجزات المكان !! ، فالمسجد أنتج الشيخ وتلاميذه ، وحتى اللغة كانت نتاج هذا المكان على نحو ما سنرى ، وكذلك كل الأماكن الأخرى كانت شخصياتها من منجزاتها :

عندما ينفرج الستار عن المشهد المهيب في المسجد حيث حلقة الدرس ، والشيخ بين تلاميذه (ذو لحية جميلة تبدو عليه المهابة) ، موظفا حديثه فيما أهمَّ الناس في السلطنة ، ويشغل تفكيرهم ، وما يثار بين الناس في مصر من أحاديث تتصل بتقلد الظاهر بيبرس – الضلع الأول في القضية التي تطرحها المسرحية – الحكم دون أن يغادر عالم الرق إلى عالم الحرية ، التي تؤهله شرعا لتقلد هذا المنصب الرفيع وقتئذ !! :

الشيخ (مستمرا في وعظه) :

– ..... وقد أمرنا الله تعالى بأن نأخذ فوق أيدي الظالمين ، وألا نستكين لهم ولا نستلين[1]) ، وإذا ولوا أمرًا من أمورنا ، فيجب أن ننتفض عليهم ، ولا نستجيب لهم ، والساكت على الظلم كفاعله ، وفاعله في النار ".

هذا هو المدخل الذي يكشف عن شخصية البطل ، حيث لم يشغل الكاتب نفسه بوصف خارجي ، يكشف عن طول قامته ، ولون بشرته ، أو فتوته ، مما يعنى به الكُتَّاب في رسم شخوصهم ،(غير لحيته الجميلة ، والمهابة التي تكسو وجهه) لكن بطلنا لديه من المقومات أو السمات المعنوية ، والطاقات الحضارية، ما لا يمكن أن يبارى فيه ، فكانت لفتة بارعة من الأديب ، حيث يهيء المناخ

(١) لعل الصواب : نلين وليست نستلين التي ربما راعى الكاتب فيها الإيقاع الصوتي على غرار نستكين ، وإن كانت كذلك فلا تؤدي المعنى الذي يطمح إليه النص . كما أن السكوت عن الظلم وليس عليه أفضل قال تعالى : ولما سكت عن موسى الغضب) آية :١٥٤ سورة الأعراف .

البيئة أو مسرح الأحداث ، لما سيأتي مما هو أهم ، وله دوره في تنامي العمل الفني وتطوره ، دون أن ينشغل بالبعد الخارجي ؛ لأن البطولة جوهر أكثر منها شكلا !!.

ثم يخطو خطوة نحو الولوج في جوهر المشكلة والتعرف عليها ، مما يحفز تلاميذ الشيخ أن يواجهوه بأسئلتهم ، وهو يفسح لهم ويجيبهم في غير ما تبرم ولاموارية أو مجاملة في الحق :

" أحد التلاميذ : وماذا ترى يا شيخنا في هذه الأنباء الأخيرة ؟.

الشيخ : أي نبأ تعني يا بني ، فما أكثر الأنباء في عصرنا ؟ .

التلميذ : ألم يأتك نبأ بيعة الظاهر بيبرس حاكما على مصر؟ .

الشيخ : لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، أليس من العجب العجاب أن يلي أمورنا رقيق يباع ويُشترى ؟! أليس من العجب أن نبايع هذا العبد حاكما علينا ! " .

يعرف الظاهر بيبرس برأي الشيخ في تقلده حكم مصر ، وأنه يرفض مبايعته لكونه رقيقا ، ولم يثبت لديه أنه انخلع من رقه !! فيُهرع إليه الظاهر بيبرس في مسجده ؛ ليتعرف على رأيه بنفسه ، ويستفسر منه عما جعله يتخذ هذا الموقف تجاهه . فيدور بينهما هذا الحوار:

"- السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

الشيخ : السلام على من اتبع الهدى .

(يجلس بيبرس ، بينما يستمر الشيخ في وعظه ، وتلاميذه في جواره) .

الشيخ : وقد توعد الله الظالمين بالكثير من كتابه ، فقال : ﴿ وَلا تَحسَبَنَّ اللَّهَ غافِلًا عَمّا يَعمَلُ الظّالِمونَ إِنَّما يُؤَخِّرُهُم لِيَومٍ تَشخَصُ فيهِ الأَبصارُ ﴾ (١) ، والظلم أنواع ، وشر أنواعه ما كان صادرا من والٍ ، وقد أمرنا الله بأن ننكث العهد مع هؤلاء الظالمين .

بيبرس : وهل حدث مني ظلم لرعيتي حتى تمتنع عن مقابلتي ؟.

الشيخ : ومتى كان لك رعية حتى تظلمها ؟

بيبرس : أتنكر ذلك وقد بايعني أهل المشرق وأهل المغرب ! .

الشيخ : ولكن لم يبايعك عز الدين وتلاميذه .

بيبرس : كيف ذا ، وقد قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ..(٢)﴾ .

الشيخ : قال (منكم) ولم يقل : عبيدكم .

بيبرس : لقد زدت وغاليت .

الشيخ : وهل في الحق زيادة ؟ .

بيبرس : ليس من الحق أن تخاطب الحاكم هكذا ؟.

الشيخ : لست أخاطب حاكما .

بيبرس : (وقد خفض من صوته) :

- وما الذي يمنعك من أن تتخذه حاكما ؟.

---

(١) الآية (٤٢) من سورة إبراهيم .

(٢) تتمة الآية : فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ . وهي تحمل رقم (٥٩) من سورة النساء .

الشيخ : لأن الحر لا يتخذ العبد راعيا .

بيبرس : وإذا ثبت أن العبد حُرٌّ .

الشيخ : إذن فقد بايع الحرُّ حرًّا .

بيبرس : إنك تثق في هذين العَالِمين من أصدقائك .

ثم لأحد أتباعه :

– استدع هذين العالِمين إلى مجلس الشيخ عز الدين بن عبد السلام .

(بعد لحظة يدخل العالِمان ، فيستقبلهما الشيخ واقفا، ثم يجلسان ويجلس)

الشيخ (موجها كلامه للعالِمين) :

– أتشهدان على أن الظاهر بيبرس قد خرج من رقه ؟.

العالِمان : اللهم إنا نشهد على ذلك .

بيبرس (وقد تهللت أساريره) :

– وماذا ترى إذن ؟.

الشيخ : إذن فقد بايع عز الدين وتلاميذه الظاهر بيبرس ، على أن يعمل بكتاب الله وسنة نبيه (ﷺ) ، وأن يسعى لصالح الرعية .

(ينحني بيبرس على يد الشيخ مودعا ثم ينصرف) ".

المواجهة بين العالم العامل الذي يهرع الناس إليه في ملماتهم ، ويثقون به في الدفاع عنهم ، والحاكم الذي ربما يراه بعضهم ظالما أو جائرا ، وليس جديرا بالولاية عليهم ؛ لأنه لم يكن حرا أو جديرا بهذا المنصب وفق متطلبات الشـــريعة أبرزت ملامح شخصية الرجل الشيخ عز الدين .. فالشيخ ابن عبد السلام ؛ هـــذا

الأنموذج الحضاري ؛ لم يمار أو ينافق ، ولم يخجل أو يتوارى خلف وظيفتـــه ، أو يخش من ظالم أو سلطان !! . بل يعلنها واضحة صريحة :

" ... : ومتى كان لك رعية حتى تظلمها ؟

بيبرس : أتنكر ذلك وقد بايعني أهل المشرق وأهل المغرب ؟! .

الشيخ : ولكن لم يبايعك عز الدين وتلاميذه .

بيبرس : كيف ذا ، وقد قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّـــهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ..[1]﴾ .

الشيخ : قال (منكم) ولم يقل : عبيدكم .

بيبرس : لقد زدت وغاليت .

الشيخ : وهل في الحق زيادة ؟

بيبرس : ليس من الحق أن تخاطب الحاكم هكذا؟

الشيخ : لست أخاطب حاكما .

بيبرس : (وقد خفض من صوته) :

- وما الذي يمنعك من أن تتخذه حاكما .

الشيخ : لأن الحر لا يتخذ العبد راعيا ."

لم يداهن الشيخ أو ينافق السلطان لكسب رضى أو مغنم أو حتى شراء السلامة في الحياة.!!.

---

(١) تتمة الآية : فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّـــهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنـــتُمْ تُؤْمِنُـــونَ بِاللَّـــــهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ وهي تحمل رقم (٥٩) من سورة النساء .

هذا الحوار استطاع أن يكشف عن أعماق هذه الشخصية الحضارية ؛ شخصية العالم الفذ ؛ سلطان العلماء في عصره ، وفي كل الأجيال التي لم تشهد أنموذجه الشجاع .

وبرغم سطوة أنموذج الشيخ عز الدين ؛ السلطان ، وشجاعة موقفه ، ومواجهته للسلطان بما يعرف عنه ، وبرغم تمسك الشيخ برأيه ، وإصراره على إعلان ما يراه حقا دون خوف من سلطان أو سلطة ، فالشيخ في عرينه يؤتى ، وهو بين تلاميذه ، لا يخشى في الحق لومة لائم !! ما يضطر السلطان بيبرس أن يهادنه ويسترضيه ، ويلين له الحديث ؛ لمعرفته بصلابته وقوته في الحق ، ومعرفته بأنه لو أن الشيخ تمسك بما يظنه حقا فلن تزحزحه قوة مهما عظمت عن رأيه !! . لكن الشيخ الذي يتميز بكل هذه الصلابة ، لا تمنعه صلابته هذه من أن يلين للحق ويزعن للعدل إذا ما ثبت له ، وذلك عملا بقول الله عز وجل " : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾[1] " . فاستجاب ونزل على رأي من يثق بهما من المشايخ ، الذين شهدوا للسلطان بخروجه من ربقة الرق ، ودخوله في عالم الأحرار . ومن ثم ، لم يكابر أو يناور ، أو يعتصم لرأيه كبرا ، وأقر له بالبيعة هو وتلاميذه ؛ لأن الشيخ لم يكن ليرفض بيعته لكونه فلانا أو فلانا ، لكن علة الرفض كانت ؛ لافتقاده شرطا من شروط الولاية التي أقرها أهل الفقه والعلم ، وأثبتته شريعة الله تعالى ، وأقرها خاصة الناس وعامتهم بشروطها:

" الشيخ : إذن فقد بايع عز الدين وتلاميذه الظاهر بيبرس ، على أن يعمل بكتاب الله وسنة نبيه ، وأن يسعى لصالح الرعية .

(ينحني بيبرس على يد الشيخ مودعا ثم ينصرف) ".

---

(١) المائدة آية : ٨ .

ولعل من المفيد أن نتعرف على التقنية الأسلوبية التي يوظفها كاتب المسرح في بناء فضاءاته الإبداعية ، وهي الحوار . بوصفه الأداة الأكثر حيوية في تقديم الرؤية الفكرية للمبدع ، وهي التي باستطاعتها أن تقدم الشخوص حية وفاعلة ، تتحرك وتتصارع على مسرح الأحداث كما في الحياة . والحوار هو القادر- عبر تقنياته – على سبر أغوار الشخصيات ، والغوص في في أعماقها ، واستكشاف ما هو كامن في قاعها . ومن ثم ، يستطيع الكشف عن الأصوات المتعددة ، وتحديد ملامح كل منها ، وتعرية الواقع المعاش . وهو (الحوار) الأسلوب المروم في خلق التعددية عبر تقنية التقابل والصراع وأدرمة المواقف ، في براعة وخفة ، ترتفع به إلى درجة الصورة التعبيرية التي تسعى لتطوير الحكي .

لغة الحوار هذه لابد أن تختلف في طبيعتها تبعا لاختلاف الشخصية ؛ لأن لكل شخصية مفرداتها (معجمها). ومن ثم ، لها لغتها ؛ ألفاظها ، صياغاتها ، أسلوبها (قاموسها) ، وتوظيفها التقني والجمالي . هذا إلى جانب أن لغة الحوار المسرحي ذاتها لها خصوصيتها " فالحوار المسرحي يتسم بقصر العبارات ، وكثافة الأداء التعبيري ، واختزال اللغة ، حتى أن المبدع يستعين بالكلمات ، أو الجمل القصيرة جدًا ، التي جاءت بين علامات التنصيص أو الأقواس أو بين معقوفين ، ليوضح حال الشخصية ، أو يترجم بعض مواقفها ، التي تؤديها الإيحاءات ، أو الحركات الجسدية ، أو الملامح النفسية للشخصية من مثل : " جادا " في اقتضاب" و" وقد خفض صوته " و" قد تهللت أساريره " و" قد هب واقفا " ... كل هذه الكلمات التي جاءت خارج الحوار ، لا يستطيع الكاتب أن يفرد لها مكانا أكثر من هذا ، وإلا سقط في المباشرة والثرثرة ، والتدخل الذي لا يتحمله النص المسرحي ، وقد يذهب به بعيدا عن دائرة الفن .. من ثم ، جاء الحوار حافلاً بالحركة اللغوية ، التي عبرت عن الحركة النفسية للشخصيات ، في صيغ

لغوية قصيرة متتالية ومتدفقة ، ومُركَّزة إلى حد التكثيف والحسم الذين يتناسبان مع الحركة الذهنية للشخصيات المتحاورة "[١] .

انتهى هذا المنظر بحل مشكلة البيعة للسلطان ، وتبلورت شخصية الشيخ العالم الجليل من خلال مواقفه الواضحة ، التي تشهد له بالصلابة والشجاعة ، والقوة في الحق ، والنزول على ما يعلنه الشرع الحنيف ويؤصله ؛ من قيم إنسانية وحضارية ، تحفظ للمناصب الشرعية هيبتها ووقارها ، وتمهد للانطلاقة الكبرى لشخصية البطل ؛ سلطان العلماء الشيخ ابن عبد السلام .

أما في المنظر الثاني ، الذي يجري في بيت نائب السلطان (الضلع الثاني في مثلث القضية) وابنته (جلنار) ؛ تلك المرأة التي ضربت أروع الأمثلة في التضحية والشجاعة . وكان بينهما مجموعة من الأمراء ، الذين أعلن الشيخ رأيه في بيعهم رقيقا ، والتصرف في ثمنهم في مصالح الأمة !! . وأخذوا يتداولون الأمر فيما بينهم كي يصلوا إلى حل لهذه المعضلة ، التي طرحها الشيخ. ولا يمكن لأحد أن يثنيه عن رأيه فيها مهما كلفه ذلك !!. فدار بينهم هذا الحوار المسهب ، ذي الجمل القصيرة كذلك ، التي تتداعى وتحاكي توتر المتحاورين في هذ المقطع ، وتكشف عن البعد الاجتماعي والنفسي لهذه الشخصيات وموقفها من الشيخ وتصرفاته بما يشبه المفارقة :

" أمير : عجيب أن نسمع بهذه الأنباء !

ثانٍ : وهل يجاهر بهذه الأنباء ، أظنه قد أصيب في عقله .

ثالث : ربما يكون الأمر مجرد نادرة من نوادر الشعب المصري ، فما أكثر نوادره ، خصوصا هذه الأيام .

---

(١) دراسات في النقد الأدبي : نقد القصة ص : ١٤٥ د كمال سعد محمد خليفة – مطبعة الكامل – أولى – ١٩٩٩م – أسيوط .

نائب السلطان (جادا) :

– ولكن السلطان قد أخبرني بهذا ، وبأن الشيخ إذا عزم على أمر فــلا راد له إلا الله .

رابع : وقد علمت بأنه أفتى بأن تصرفاتنا في البيــع والشــراء والــزواج والعقود باطلة مردودة .

خامس : وقد مررت البارحة بتجار هذا الحي ، فأشاحوا عني بوجوههم .

سادس : وقد طلبت من أحدهم ابنته ، فقال : حتى يأذن الشيخ .

أحدهم (ضاحكا) :

– وأنت يا فيل ما أحسنك شكلا !، حينما يجرك النَّخاس في السوق وينادي: (مملوك للبيع ، متمرن على حمل الأثقال) .

آخر (ساخرا) :

– ولكن بطنه ستصرف عنه المشترين ، فهم لا يريدون أن يخزنــوا فيهــا الأطعمة .

آخر (متهكما) : ولكن لا ننسى أن شخيره يطرد اللصوص .

نائب السلطان (جادا) : أتمزحون وعز الدين بن عبد السلام يريد بــيعكم، ووضع ثمنكم في بيت المال .

أحدهم (ضاحكا) :

– ولكن ما دام معنا هذا الفيل ، فمن سيشترينا ؟.

الفيل (وقد تنبه) :

– الفيل على كل حال خير من الحمير .

نائب السلطان (وقد هب واقفا) :

– صه ! كيف يتجرأ علينا ، ونحن سادة الأرض ، والله لأضربنه بسيفي .

(وتسمع جلنار وهي واقفة في الغرفة المجاورة تهديد أبيها فترتعد فرحا، فقد أحست منذ الساعة بأن هذا أقوى من أبيها ومن الأمراء جميعا ، وخسارة أن يذهب ضحية غرورهم ، وبينما هي تحاور نفسها يأتيها صوت أبيها صائحا) :

– جلنار ، جلنار ، أين أنتِ ؟ .

جلنار (تقبل) : أبتِ ، ماذا تريد ؟.

نائب السلطان (واقفا) : السيف ، أين سيفي ؟ ، علي به (جلنار لا تتحرك) لماذا تقفين هكذا كالتمثال تحركي (جلنار صامتة) ماذا جرى لك يا جلنار ؟ تحركي وائتيني بسيفي .

جلنار (بصوت خفيض) :

ماذا تريد يا أبت ؟.

نائب السلطان (متعجبا) :

– أريد سيفي ، فماذا دهاكِ ؟

جلنار (متسائلة) :

– ولماذا تريد سيفك ؟

نائب السلطان : لم أعهدك قبل اليوم تسألين ، (بصوت عالٍ) :

– خليل ، خليل ، ائتني بسيفي (موجها كلامه لجلنار) :

– أما أنت يا جلنار فاذهبي إلى سريرك واستريحي ، سأخرج لشأن ثم آتيكم .

لعل الكاتب أراد أن يحشد الأمراء المماليك بمن فيهم نائب السلطنة المملوك في نسق هذا الحوار الذي لم نلحظ أيا من الفوارق بين كل منهم !! وكأنهم من نمط واحد (أمير ، ثان ، ثالث ، رابع ، ... ، ...) . ومستوًى ثقافي واحد ، وينظمهم تفكير، أو عقل واحد ، لا تجد بينهم من يمكن أن يمثل اختلافا ، لا في السمت ، ولا في الفكرة ، ولا في العقلية ، ولا حتى اللغة ؛ حيث جاءت لغتهم جميعا في نسق واحد ، لا تكاد تميز بين أحدهم وآخر ، فجاءت لغتهم ساذجة عارية من أية إشراقات يضفيها البناء الفني . ربما الفارق الوحيد الذي ميز أحدهم عن أقرانه هو ضخامة جسد أحدهم !، فلم يميزه سوى ضخامة بطنه ، فنعتوه بالفيل !! إلا أن ضخامة بطنه كانت مثار السخرية من بعضهم والتندر من آخرين . وكأن الكاتب أراد أن يقطع التوتر الذي طغى على المشهد بهذ الطرفة(الفكاهة) كي يخفف من حدة التوتر ، ويهربون من مشكلتهم ، وتعقيدات الشيخ ، وتجبره عليهم هكذا ، وهم كما يقولون : حكام الدنيا !! .

" – وأنت يا فيل ما أحسنك شكلا ! ، حينما يجرك النخاس في السوق وينادي : (مملوك للبيع ، متمرن على حمل الأثقال) .

آخر (ساخرا) :

– بطنه ستصرف عنه المشترين ، فهم لا يريدون أن يخزنوا فيها الأطعمة .

آخر(متهكما) : ولكن لا ننسى أن شخيره يطرد اللصوص " .

الشخصية البارزة في هذا المشهد ، ربما هي شخصية (جلنار) ، التي رسمها الكاتب بصورة راقية ، بعيدا عن ممارسات نساء القصور ، أو مجونهن ، مما نعهده في مثل هذا الجو السلطاني ، الذي تذخر قصوره بالجواري والخادنات، وذوي البهرج ، ممن تعرضن لحومهن وأجسادهن ، ولايبالين بأخلاق أو قيم أو حتى دين !!

انحازت (جلنار) إلى الشيخ ، إلى عالمه الإسلامي ، المفتونة بما يمثله من قيم حضارية ، وأخلاق إنسانية ، وعلم وفقه وصلاح ، وقوة وشموخ وإباء ، ما يجعله مطمحًا ومطمعًا للعقلاء ، وليس من يجرين وراء شهواتهن ، أو بريق المال أو الجاه أو السلطة الزائفة !! ، وتجاوزت المعسكر الذي يمثله أبوها والأمراء من بني جلدتها .. فاختارت الشيخ ، وآمنت بفكره وارتاحت لشموخه وكبريائه ، وتعاطفت مع قضيته ، بل وخاطرت بنفسها ، وغادرت بيت أبيها متخفية في ثياب رجل تحت جنح الظلام !!؛ لتحذر الشيخ من مغبة ما يُدبره له ؛ نائب السلطان !! .

وهذا ما سنراه في المنظر الثالث ، الذي تجري أحداثه في بيت الشيخ العز بن عبد السلام المتواضع :

" الشيخ : انظر من الطارق يا بني ؟ .

الشاب (وقد أطل من كوة) :

– إنه شيخ ملثم يا أبتِ .

الشيخ : افتح له ، فلعله ضال يريد مأوىً ، فإنها لساعة متأخرة من الليل .

(يتقدم الابن ويفتح الباب ، يندفع الملثم داخلا ويقف أمام عز الدين لاهثا ، عز الدين يتلطف به ويجلسه) .

عز الدين : إنها ليلة سعيدة أن تشرفنا يا أخا العرب (لا يجيب) .

عز الدين : إلى أين تقصد في هزيع الليل يا أخا العرب ؟ (صامت) .

عز الدين (لابنه) :

– علينا بمشروب يا بني (ثم للملثم) أي الشراب تختار؟ (ولكنه لا يجيب) .

ثم يلقي الرجل باللثام ، ويُبَاغتُ الشيخ عز الدين وابنه ، فقد وجدا أمامهما امرأة كاملة الأنوثة .

المرأة : لا تستغربا ، فأنا (جلنار) بنت نائب السلطان .

عز الدين (وقد استرد هدوءه) :

– فهل يحق لنا أن نسأل عن الذي جاء بك في مثل تلك الساعة المتأخرة من الليل !.

جلنار : إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك ، فاخرج إني لك من الناصحين .

عز الدين : أفصحي يا ابنتي !

جلنار : إن أبي والأمراء يأتمرون بك ليقتلوك ، وسيأتي أبي بعد لحظة ليضربك بسيفه .

عز الدين : (هادئا) :

– لا تُرَاعِي يا ابنتي ، فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون .

عز الدين :لابنه (بصوت فيه شيء يحس به الابن) :

– ائتنا بمشروب يا بني ، فإنها الليلة ضيفك " .

فشخصية (جلنار) ؛ الأميرة ، بنت نائب السلطنة ، شخصية بناها الكاتب وفق رؤيته الإسلامية للمرأة ، ودورها الفاعل في الحياة ، يحرص الكاتب أن تكون هكذا ناصعة ، تمثل الدور القيمي والأخلاقي ، الذي ينبغي أن تقوم به المرأة في العمل الفني ، بعيدا عن التورط في العري والتغنج أو التفضح ، مما يتحفنا به كتاب الدراما والمسرح في الأعمال المسرحية أو السينمائية ، بحجة محاكاة الواقع، والواقع منهم براء !! فالمرأة في العمل المسرحي هي المرأة التي صنعها الإسلام وأنتجها تراثه وواقعه الحضاري ، بعيدا عن التفلت أو التهتك أو الاهتراء،

مما نرى ونشاهد من كونها سلعة تجارية ، تُقدَّم لكل متهافت متهتك مستهتر، متفلت من عُقُل القيم والأخلاق . وهذا لا يعني أن تكون المرأة المسلمة في العمل المسرحي نمطا واحدا هكذا !! قديسة لا تخطئ ، أو يصيبها ما يصيب غيرها من النساء !!، ولكن المرأة المسلمة في العمل الفني ، كما المرأة في الواقع ؛ تصيب وتخطئ ، مثل كل البشر من بني جنسها ، " تتصرف كامرأة تلتقي في ذاتها كل المتناقضات ، كالقوة والضعف ، والإيجابية والسلبية ، والحب والكره ، والتفاؤل والتشاؤم والإقدام والتخاذل ، والفرح والحزن ، شأن كل البشر . قد يغلبها ضعفها، وقد تستعلي عليه ، ليست قديسة كما أنها ليست شيطانا ، ولكنها بشر ؛ يصيب ويخطئ ، ويسمو ويسقط وهذا هو واقعها . والأديب الحقيقي هو الذي لا يمكن أن ينفصل عن واقعه مهما كان مؤلما ، والأدب مرآة الحياة ، والأديب فنان يستخلص الجمال من محيطه وبيئته ، ويعرضه ، ليعكس صورة مكثفة لكل العناصر الثقافية والاجتماعية والسياسية الخاصة والغاص بها مجتمعه [١]"، وليس الجمال هنا يعني تزييف الواقع أو تصويره بلون وردي وهو غير ذلك ، ولكن الإبداع الحقيقي هو : " تحويل الحقيقة بكل مآسيها وكوارثها وقبحها إلى عمل فني راق وخالد ، يؤثر في وجدان المتلقي ، ويستثير خياله ، ويشاركه في محاولة العثور على أجوبة على كل الأسئلة التي تطرحها الحياة [٢] ".

وهذا ما يؤكده دعاة الواقعية ، التي تحتم على الكاتب عندما يصور الشر لابد أن " يبث في تصويره (...) دواعي الأمل في التخلص منه ، فتحا لمنافذ

---

(١) الأنا والآخر : المواجهة الحضارية في الإبداع الروائي ص : ١٠٦٦ وما بعدها بتصرف د. كمال سعد محمد خليفة – بحث منشور في مجلة البيان عدد (١٣) الجزء (٢) لسنة ١٤٣٤هـ / ٢٠١٣م . – كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين – قنا .

(٢) السابق ص : ١٠٦٧ .

التفاؤل ، حتى في أحلك المواقف [١] " . ومن ثم ، يصبح الأدب ذا رسالة اجتماعية ، تسهم في النهوض بالمجتمع ، وتدفعه نحو آفاق الازدهار ، بحيث يلتحم الأديب بعصره الذي يعيش فيه ، ويشارك في معالجة قضاياه وهمومه . " فالوعي الحسي للكاتب ، يحتم عليه اشتراكه في مسائل قومه ، ومسائل العالم من حوله ، كي يصور عالمه الذي يحيا فيه ، قاصدًا إلى تصويره وخلقه خلقًا جديدًا[٢] وإذا كانت هذه رؤية الواقعيين الاشتراكيين ، فإن مدرسة الإبداع المنبثق من رؤية إسلامية ، تكشف عن رؤية بنائية حضارية ، تسمو بإنسانية الإنسان نحو الأفق المنفتح على العالم ، والمنبثق عن تصور يستخدم " أقصى طاقات أدوات التعبير ، عن رؤية الفنان لواقعه " [٣]، الذي يطرح عليه من ذاته ورؤيته، ما يحيله حيًا مَوَّارًا نابضًا .. فالفن في أبسط صوره مثير للقلق ، باعث للأمل ، لكن بصورة مخالفة للحياة . فالأديب . لا ينسخ ــ كما يقول الروائي " سومرست موم " ــ نسخًا من الحياة نفسها ، لكنه يقتبس منها ما هو بحاجة إليه ، يضع ملامح استرعت انتباهه هنا . ومن ثم ، يأخذ في تشكيل شخصيته ، ولا يعنيه أن تكون صورة طبق الأصل ، بل يعنيه هو أن يخلق وحدة منسجمة محتملة الوجود، تتفق وأغراضه الخاصة) [٤] ، وذلك لأن الفن والحياة شيئان متباينان ، والوجود في أحدهما يختلف عن الوجود في الآخر ، فالحياة تفرض علينا وجودًا مستمرًا ، بينما الشخصية في العمل الأدبي أيا كان نوعه ، لا تظهر إلا في الأوقات التي ينتظر منها أن تقوم بعمل ما ، بينما نحن في حياتنا الواقعية نعيش أيامًا ، بل

---

(١) الأدب المقارن ص : ٣٨١ د . محمد غنيمي هلال – دار نهضة مصر – ثالثة – ١٩٨٣ م – مصر .

(٢) السابق ــ ص : ٣٨١ .

(٣) الروائي والأرض ص٣٣ د .عبد المحسن طه بدر ــ دار المعارف ــ ثالثة ـــ ١٩٨٣ـــ مصر.

(٤) فن القصة ص ٩٣ ــ د / محمد يوسف نجم ــ دار الثقافة ــ بيروت .

وسنين دون أن نعمل عملًا مهما يلفت النظر ...) [١] ... من ثم ، يكون " الأدب هو الجزء الأفضل من الحياة ، شريطة أن تكون الحياة هي الجزء الأفضل من الأدب " [٢].

والتاريخ كما الواقع يمنح الأديب أو الروائي مساحة لا بأس بها من الاختيار والانتخاب ، وتقديم شخصيات ينعكس على صفحاتها تصور الكاتب ورؤيته لهذا الواقع ، الذي يحياه بين أفراد مجتمعه ، شريطة ألا يلوي عنق الأحداث أو يغير من مسارها بالشكل الذي ترد في عمله مخالفة لما حدثت عليه .

فالواقعية التاريخية – لو جاز التعبير – التي ينشدها المسرحي ، ونحن بدورنا نلمسها في إبداعه ، واقعية معجونة بالأمل ، ومرارتها محلاة بعبير الحب، والتناغم الذي يصنع – إذا جاز التعبير – حالة من التواصل والتماهي في هذا المشهد التاريخ / واقعي ... تنطلق من رؤية إنسانية منبعها الإسلام ؛ ذلك الدين الذي يحفظ للإنسان توازنه أمام نزعات النفس ، وينتشله من السقوط واللهاث وراء مغريات الحياة ؛ لأن العقيدة الإسلامية " طريقة حياة ، لا طريقة فكر ودراسة وكفى ، لكنها حاجة النفس كما يقول العقاد [٣] ـــ (يرحمه الله) : " والإسلام عندما يقيم علاقاته بين البشر : الإنسان بالإنسان ، والإنسان بالكون ، تقوم هذه العلاقات على أسس حضارية ، تجيش بالحب ، حين يجيش غيرها

---

(١) فن القصة ص ٩٣ ــ د / محمد يوسف نجم .

(٢) الواقعية ص ١٠٥ ــ د / ديمين كرنت ترجمة ــ عبد الواحد لؤلؤة . المؤسسة العربية للدراسات والنشر ــ ١٩٨٣ ــ بيروت

(٣) نقلاً عن : في الغزو الفكري ــ ص ٦١ للدكتور / أحمد السايح ، كتاب " الأمة " عدد (٣٨) ــ قطر .. والكلام للأستاذ / العقاد ، ولم يثبت الدكتور السايح مرجعه .

بالكراهية ، وتلتقي على البناء ، حين يلتقي غيرها على الهدم ، وتتوافق مع الفطرة ، حين لا يتوافق غيرها إلا مع الأهواء [١] ".

فوظيفة الفن ــ كما يطرحها الناقد الدكتور / عبد المحسن طه بدر[٢] ــ " لا تخرج عن كونها عملية الكشف بأفضل الوسائل الممكنة ، وباستخدام أقصى أدوات التعبير عن رؤية الفنان " .

فالأديب دائمًا ما يحث المتلقي على التعلم من أخطاء الآخرين ، ويحفزه على التشبث بالحسن الجميل ، والاستعلاء على مشكلات الحياة ، ونوائبها التي قد تجرف الخائرين ؛ أصحاب العزائم المهيضة . وهذا ما يمكن أن يقدمه التاريخ عندما يعرض للتجارب المختلفة سيما ما ينجز فيها شخصياته أو حتى يخفقون في إنجازه ... فالإنسان في الإسلام نمط بشري يتصرف مثلما يتصرف البشر، لكن هناك ما يحميه من السقوط ، فالعقيدة التي يؤمن بها هي التي تحميه من الذوبان في خضم الحياة ، وتحفظ توازنه أمام حاجيات النفس ونوازعها ، وتحمله حملاً على السمو والتفرد في صلاته وعلاقاته الاجتماعية .

فلغة الحوار في هذا المقطع أبانت عن كنه الشخصيات التي تختلف في كينونتها وحركتها على مسرح الأحداث ، وشكلت هوية الشخصية ، فطزاجة اللغة، تأتي من استنفار طاقاتها الإبداعية ، وروعتها تكمن في تعددية هذه الطاقات وتنوعها . ولن يتأتى للغة كل هذه الحيوية وهذا الجمال إلا إذا نجحت في تقديم الصور المتعددة ، للإفرازات العاطفية المختلفة والأفكار المتباينة . والأديب الناجح هو الذي يراعي الفروق النفسية والفكرية والثقافية في الإبداع . ومن ثم تماهت لغة (جلنار) مع لغة الشيخ العز بن عبد السلام العالم والقاضي !! فوظفا

---

(١) في الفكر الإسلامي من الوجهة الأدبية ص ٣٨ ، ٣٩ للدكتور / محمد أحمد العزب ــ المجلس الأعلى للثقافة ــ ١٩٨٣ ــ القاهرة .

(٢) الروائي والأرض : ص ٣٣ ــ دار المعارف ــ ثالثة ــ مصر .

النص القرآني في حوارهما بوصفه – إلى جانب جوهره المقدس – منجزا لغويا له خصوصيته ، ودوره في تشكيل وعي ورؤية المنتمين إلى دائرته أو نسقه المعرفي .. ومن ثم ، ينعكس حضوره المعرفي والثقافي والإيماني على تصور حياة الشخصية بامتلائها المعرفي وحضورها الإنساني الفريد –

" فهل يحق لنا أن نسأل عن الذي جاء بك في مثل تلك الساعة المتأخرة من الليل !.

جلنار : إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك ، فاخرج إني لك من الناصحين .

عز الدين : أفصحي يا ابنتي !

جلنار : إن أبي والأمراء يأتمرون بك ليقتلوك ، وسيأتي أبي بعد لحظة ليضربك بسيفه .

عز الدين : (هادئا) :

– لا تُرَاعِي يا ابنتي ، فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون " .

فالحوار بين (جلنار) و (الشيخ ابن عبد السلام) مشدود إلى نسق القرآن الكريم ، حيث تستند (جلنار) في لغتها للآية الكريمة قال تعالى : ﴿ وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴾ [1] ، تستلهم جوها وأفقها المعنوي ، كي تقنع الشيخ بخطر ما يترصده ، من جراء تآمر المماليك عليه ، وفي مقدمتهم أبوها نائب السلطنة !! ومن ثم ، نجد الشيخ وهو رمز الشموخ والإباء والشجاعة ، والذي لا تخيفه كل مؤامرات البشر ، ولا حتى قوتهم طالما أنه يخاف رب البشر ، ويثق بما عنده، يرد عليها في ثقة لا تقل توهجا ورقيا عن لغتها ، محذرا لها من تزعزع يقينها بالله ، ثم بشيخها الذي تعرفه ، مبرزا عاطفة ونبلا ربما يضعاها موضعا

(١) سورة القصص الآية : ٢٠.

منه تحبه ، وتستبدل به مكان أبوة أبيها !! : لا تُرَاعي يا ابنتي !! . ومردفا بقول ربنا في قرآنه الكريم : ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذا جاءَ أَجَلُهُم لا يَستَأخِرونَ ساعَةً وَلا يَستَقدِمونَ ﴾ [١] " ؛ ليفتح لها أفقا جديد يُبدد مخاوفها ، ويُذهب هواجسها ، ويحملها على اليقين بأنه لو اجتمعت كل الدنيا على أن ينالوا من الشيخ المؤمن فلن ينالوه إلا بشيء قد كتبه الله عليه !! فالنص القرآني يصنع في الجو العام – إضافة إلى العبق الإيماني – روحا جديد ومتجددة ، قادرة في ثقة ويقين أن تقرر أنهما معا قادران على تحويل المأساة إلى فرج قريب ، ويفتح أفقا موازيا للمعنى القرآني يشيع جوا من القدرة على المواجهة واليقين بالله ، وأنهما مهما كانا ضعيفين بنية أو مكانة ، فهما بهذا اليقين المنفتح على الجو العام للمعنى والسياق أو النسق الإيماني ، قادران على مواجهة الدنيا بأثرها طالما أنهما على الحق !!. فالنصوص القرآنية " قادرة على إلهام الأديب بما تحويه من معانٍ متجددة . إن استدعاء النص القرآني أو مفرداته هو أحد السبل لارتقاء الإبداع ، فلهذه الاستدعاءات رؤى خاصة تتجانس وتتلاءم ، وتقوي الموقف الأدبي . فالنصوص الغائبة هي العتبات أو الشفرات التي يمكن من خلالها الدخول إلى النص الحاضر، وهو ما يجعل في النص جمالية ، ونكهة عند المتلقي يربطها بجذور معينة ، يستمتع خلال عملية تلمسه لها[٢] "

(يجلس الثلاثة يتحادثون ، الفتاة يكاد حرصها يفضحها ، والشيخ يتحدث بصوت فيه شيء يوحي به إلى ابنه ، أما الابن فهو ساهم واجم ، ثم يسمعون طرقا على الباب فيهب عز الدين واقفا) .

الفتاة (تتشبث به) :

---

(١) سورة الأعراف الآية : ٣٤ .

(٢) التناص القرآني .... ص:٣ شازاد كريم عثمان ولمياء ياسين حمزة مطبوعات قسم اللغة العربية كلية التربية الأساسية – جامعة رابرين – كردستان / العراق .

– بربك لا تخرج ، ابق على حياتك ، فسأنظر من الطارق ؟.

الشيخ (بصوت يبدو فيه الإيمان) :

– ولكنك يا ابنتي تمنعينني من شيء أريده منذ أمد بعيد .

الفتي : بربك يا أبت ! لا تبرح مكانك ، فسأنظر أنا من الطارق .

الشيخ (بصوت فيه عتاب) :

– يا ولدي ، أبوك أقل من أن يُقتَلَ في سبيل الله .

(ينفلت الشيخ منهما ، ويندفع نحو الباب ، يتبعه الفتى والفتاة ، وبقلب ثابت يفتح الشيخ الباب ، فيرى على عتبته فارسا مدججا بالسلاح ، يرفع الفارس سيفه ليضرب به هامة الشيخ ، ولكن يده ترتجف لهيبة الشيخ) !! .

الفارس (يجثو على قدمي الشيخ ، ويقول بصوت يختنق من البكاء) :

– اعف عني ، سامحني ، لقد أخطأت .

الشيخ (يترفق به ويوقفه) :

– قف ، فكثيرا ما تخطئ النفوس ، ولكثير أيضا ما تتسع الصدور .

الفارس (وقد وقف خاشعا خاضعا) :

– لك كل ما تريد ، افعل كل ما تريد ، افعل كل ما تريد ، لك كل ما تريد ".

إن شجاعة الشيخ وإقدامه ، وصلابته في الحق ، دفعه كل ذلك على مواجهة الخطر الذي داهم بيته ، ويقف على الباب دون قدميه ، والمسلم ، المؤمن بقضاء الله وقدره ، والمؤمن كذلك بدوره ووظيفته في الحياة ؛ كونه عالما وفقيها يقصده الناس ، لثقتهم في علمه ونصحه . ومن ثم ، يثق أنهم لن

يخذلوه أمام سلطان أو أمير ، يريد أن يسلبهم حقوقهم أو يستعلي عليهم في غير ما حق !! .

اكتسب الشيخ كل هذه الثقة بين الناس في السلطنة من مجموع القيم ، والمواقف التي مارسها بصدق ، دون ما مأرب أو مصلحة !! ولو أراد لعاش سلطانا يتمرغ في النعيم الزائل ، لكنه آثر الحياة الأخرى ، وواجه في الدنيا وناضل من أجل الحق والأخلاق والقيم والعدالة والخير بشجاعة وإقدام نادرين ، ورفض كل الإغراءات التي قُدمت له ، سواء من سلطان دمشق ، أو حتى من سلطان مصر ، الذي لم يهنأ يوما بيقين في استتباب ملكه إلا عندما " مرت جنازة الشيخ (عز الدين بن عبد السلام) تحت القلعة ، وشاهد الملك الظاهر كثرة الخلق الذين معها قال لبعض خواصه : اليوم استقر أمري في الملك ؛ لأن هذا الشيخ لو كان يقول للناس : اخرجوا عليه ، لانتزع الملك مني [(١)] " .

ولعل هذه المقومات الإيمانية ، والخصائص الإنسانية ، والقيم الحضارية ، التي جمعت له الناس على الحب والإذعان لرأيه ، واتباعه ، هي التي صنعت قوة الشيخ (ﷺ) ، وربما جعلته يرى في كل هؤلاء الأمراء والسلاطين بأنهم دونه !! ومن ثم ، كان بإمكانه أن يقضي عليه بتسليمه للناس ، وإخبارهم بما كان ينتويه للشيخ ، لكنه الشيخ العظيم والكبير والشامخ ، الذي يرى في كل من يتلفعون بالإمارة أو السلطنة ، بأنهم دون قدره ، تحت قدمه ، بل ربما أضعف من ذبابة !! ومن هنا ، رآه نائب السلطنة كذلك ، ورأى نفسه أضعف من ينال من الشيخ أو يؤذيه : فهرع يلهج بطلب العفو ، ويلح بخطئه ، ويقر بجريمته ، ثقة في عفو الشيخ وترفعه عن صغائر الصغار، ولو كانوا سلاطين أو أمراء !! لكن ما هال نائب السلطنة وفاجأه على غير توقع ، ما رآه : ابنته ؛ (جلنار) تقف خلف الشيخ

(١) طبقات الشافعية جـ (٨) ص : ٢١٥ . لتاج الدين السبكي . سابق .

، وفي داره ، وهو الذي تركها في قصره ، وطلب منها أن تدع كل ذلك وتهنأ في مخدعها ، حتى يعود من مهمته ، التي كان يعتزم تنفيذها في منزل الشيخ !!.

* ما الذي جاء بجلنار إلى بيت الشيخ ؟ وهي بنفسها تبلغه بمؤامرة أبيها وحاشيته من الأمراء !!، وهي التي تعرف عن يقين موقف الشيخ عز الدين من أبيها وكل المماليك ؟! .

المبدأ الإسلامي هو الإذعان للحق مهما تعارض مع عواطف الآخرين ، حتى ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم ، فالقرآن الكريم في مثل هذا الأمر يقدم مصلحة الدين والحق والوطن ، على عواطف الآباء والأبناء سيما ، إذا تعارضا معا قال تعالى ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّـهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّـهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَـئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّـهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَـئِكَ حِزْبُ اللَّـهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّـهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ[1] ﴾: .. فكيف تصنع مع أبيها بعدما سمعت بأذنيها ، وتيقنت من إقدامه على جريمة منكرة كهذه ؟!. لكنها امرأة فماذا بيدها أن تفعل في مواجهة تيار العداء الهادر للشيخ ؟! ، سيما وأبوها تداعب أحلامه الكثير من الآمال التي حتما سيقف الشيخ في مواجهة تحقيقها !! فشهواته وطموحاته في الحكم ، تجعله يرتكب في سبيل ذلك أحقر النقائص والدنايا والحماقات ولا يبالي !! .

الإسلام بمفهومه الحضاري لهذه العواطف والقيم ، يؤكد على أنه : " لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق " حتى ولو كان العاصي هو الأب الذي قرن القرآن الكريم بره بتوحيده وعبادته (ﷻ) فقال : ﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً ﴾[2] .

---

(١) سورة المجادلة آية : ٢٢ .

(٢) سورة الإسراء آية (٢٣) .

وما قصة سيدنا إبراهيم (عليه السلام) في محاولاته الدؤوبة مع والده عساه أن يهتدي إلى صراط الله السوي (منهجه القويم وتوحيده) عنا ببعيد !!.. فأمام هذا الإصرار الدؤوب من إبراهيم (عليه السلام) ، وجدنا أباه يصر على عناده وكفره ، ما يجعله يهجر حياته، وديانته، ويخرج عن طاعته، كما جاء في القرآن الكريم(١) .

وعندما تتعارض قرابة الدين مع قرابة النسب ، تنتهي قرابة النسب أمام قرابة الدين ، فهي الأبقى للإنسان في حياته ومماته .. وطاعة الوالدين مرهونة ، بعدم الشرك . يقول الله تعالى : ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفاً وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٢) .. خيانة الوطن تتنافى مع العقيدة الخالصة والإيمان الحقيقي بالله (عز وجل) . ومن ثم ، تنقطع كل صلات النسب عندما تهتز هذه القيم الإنسانية الرفيعة .

عندما تضطرب هذه العلاقة ، وتتدنى إلى هذا المستوى ، تتحطم العواطف، وتنهار القيم التي تحدد هذه العلاقة الإلهية ، بين الابن وأبيه . فحب الله ، وحب رسوله (ﷺ) ، والجهاد في سبيله تعالى ، ومتطلبات هذا الحب والجهاد في حياة البشر ، واستقرار أمورهم ، وحياة مجتمعاتهم ، كل هذا يستدعي أن تتعلق العاطفة الإيمانية بكل ما يؤصل هذه الواجبات ، وهذا ما يؤكد

---

(١) قال تعالى : ﴿ وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا* إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا* يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ العِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا* يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا* يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا* قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا* قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا* وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴾. سورة مريم الآيات : (٤١ : ٤٨)

(٢) سورة لقمان آية (١٥) .

عليه القرآن الكريم ، الذي يعد المنهل الأول للإبداع الأدبي ، الذي ينضبط بالرؤية الإسلامية للعواطف الإنسانية في مثل هذه الظروف .. قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾(١).

فـ (جلنار) ابنة نائب السلطنة لم تواجه أباها ، ربما خوفا منه ، أو رغبة في انتهاز فرصة الإنقاذ ، فتحذر الشيخ من مؤامرة أبيها وشركائه من أمراء السلطنة ، فينجو الشيخ ، وفي الوقت نفسه تمنع أباها من أن يتمادى في غيِّه ، ويسيء إلى نفسه ، ودينه ، ووطنه ، وإلى ابنته .. وسط هذه الأمواج المتلاطمة من الحيرة والألم ، التي تكاد تفتك بها، إنها خيانة لله والوطن ، وخيانة لأمانات الأمة ورجالها الذين ناصرو الحق والعدل ، وعانوا في سبيل ذلك ما عانوا ... والإسلام ينهى عن هذا السلوك الفاجر ، يقول تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٢) ، ويقول تعالى مسجلاً كرهه وبغضه لهؤلاء الخائنين :﴿ وَلا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾ (٣) .

في هذه اللحظة اتخذت قرارها للذهاب إلى بيت الشيخ ، تنبهه من خطر يترصده !! وعندما تنجح في ذلك ، يدهش الأب !! تتملكه الحيرة من صنيع ابنته !! ما الذي جاء بها إلى دار الشيخ وهو الذي تركها هناك في مخدعها الوثير في قصره المنيف ؟!! :

---

(١) سورة التوبة آية (٢٤) .
(٢) سورة الأنفال آية (٢٧) .
(٣) سورة النساء آية (٢٧) .

(يرفع الفارس بصره ، فيقع على شخص خلف الشيخ فينكره ، ثم يقع عليه ثانية فيبصره ، وتدور به الدنيا ، ويمسك رأسه بيديه) .

جلنار (بصوت فيه فرح) :

– أبت ، أبت . (ولكنه لا يجيب) .

جلنار (ترفع من صوتها) :

– أبتِ ، أحمد الله ، وأشكر نعمته .

الفارس (يخاطب نفسه) :

– جلنار، أين أنا ؟ ، وأين هما ؟ ، لقد تركتها في مخدعها تنعم في أحلامها !!.. (يصرخ) لقد جننت ، لقد ذهب عقلي ، أيها الشيخ : اعف عني ، سامحني، لقد جننت ، أين أنا من جلنار؟ ، أيها الشيخ سامحني ، اعف عني ".

تَتَالِي الاستفهامات والتحير، ينبئان عن حالة الاضطراب والهلع التي انتابت نائب السلطنة ، وكأنه سقط في البئر التي سعى لحفرها للشيخ !! . ولعل ما أفشله في هذه المهمة هو الهيبة والشجاعة المعروفة عن الشيخ بأكثر ما كان جبنا أو ضعفا منه !! . ولذلك الشيخ أدرك أن هذا الرجل ربما دفعته بعض دوافع وعلائق مختلفة ، تتصل بشهوات الحكم والسلطة ، وهذا ما يدركه الشيخ ، ولذلك لم يختصم نائب السلطنة أو يقاضيه أو يطلب عقابه ، بل يطلب مصاهرته ، يطلب منه تزويج (جلنار) ابنة نائب السلطنة ، لابنه عبد اللطيف !! ونائب السلطنة لم يمانع ، بل يفرح لذلك ويعلن رغبته فيه . إلا أن جلنار ؛ ابنته ، كانت ترغب ليس في ابن الشيخ الشاب لكنها كانت راغبة في الشيخ نفسه !! :

الشيخ (متلطفا) : لا تُرَع ، فأنت بخير إنها جلنار ابنتك ، لقد سبقتك هنا إلى منزل الشيخ .

الفارس (وقد فهم) : إن لكِ عقلا لا يسلمكِ إلا إلى الخير .

الشيخ (يخاطب الفارس) :

– هل تجيبني إلى شيء أطلبه منك أيها الصديق .

الفارس : لك كل ما تطلب .

الشيخ : هل هناك مانع من أن تصاهرنا .

(يظهر الفرح على وجه جلنار، ويصبح أبوها مسرورا)

الفارس : لم نصل إلى هذه المنزلة .

الشيخ : إنني أريد ابنتك لابني .

(يظهر السرور على وجه الفتى ، ويتغير وجه جلنار)

الفارس : لك كل ما تريد ، إنها ابنتك .

جلنار (مطرقة إلى الأرض ، وبصوت فيه حياء) ! :

– ولكنني لا أريد الزواج إلا بمن اختار قلبي ، وقطعت الطريق من أجله ، وتحملت في ذلك ما تحملت .

الشيخ (وقد فهم) :

– ولكنني في سن أبيك !! .

الفتاة (بصوت فيه رجاء) :

– ولكن هذا ما اختارته نفسي لأكون دائما قريبة من الشيخ .

الشيخ (للفارس) :

– هل توافق .

الفارس (مغتبطا) :

– نعم ما اخترت يا ابنتي ، إنك لحصيفة العقل .

(يضم الفارس ابنته إلى صدره، ويواري الفتى وجهه وهو يغالب دموعه) .

****

أسدل الستار على هذه النهاية التي أراد الكاتب أن تكون متفائلة وحيوية ، ومادة لأسباب الأمل في استئناف حياة جديدة قوامها التعاون والتآلف والعدل والتسامح ، ومؤسسة لعلاقة حضارية ، ينبغي أن تسود بين الحكام والعلماء ، حيث تتماهى السلطة السياسية في السلطة الاجتماعية والفكرية ، وتتأسس العلاقة على التفاعل والاحترام ، يكون قوامها العدل والثقة والانتصار للقيم والأخلاق ، وتأكيد قيم العدل والحب والخير والمواطنة والمساواة ، لابد من امتداد جسور الثقة ، والاعتراف بدور كل فريق في إدارة الحياة ، عبر قناة أراد لها الكاتب أن تكون شرعية ؛ زواج السلطة بالعلم والقيم والأخلاق ، وكل قيم البناء والتحضر (جلنار بالشيخ) ؛ هذه العلاقة التي اخترعها المبدع المسرحي ليدبر التقاءا طبعيا قوامه التآلف والحب(الصداقة) ، ومقنعا وقدسيا ، بين ما هو سلطوي وما هو شرعي ، إنساني حضاري (الزواج) ، يقدم للأمة الأنموذج الحضاري لهذه الرؤية الإبداعية في الالتقاء بين الحاكم والمحكومين ، على جسر من الرضا و القبول (الصداقة والمصاهرة) . من ثم ، وعبر هذا التعالق تتشكل رؤية جديدة لبناء مجتمع فاعل وقادر على أداء مهمته الحضارية في الحياة . أو تشكيل المجتمع على محفة من التفاعل ، ووشيجة من التصالح والبناء . هذا الزواج ، أو إعلان الرغبة فيه ، يرمز للعلاقة التي ينبغي أن تتوفر بين طرفي المجتمع الشعب بعلمائه وقضاته وكل شرائحه ، والسلطة عندما تقيم على أساس من الشرع والدين ، فتتعاضد السلطتان ، وتدعمان البناء الحضاري لكيان المجتمع ، بوصف الازدهار نتيجة لهذه الوشيجة أو الرابطة التي تؤكد على التحام المجتمع وتكافؤه ، وتضافر كل جهود شرائحه ، لتصب في النهر الكبير ؛ الوطن العظيم !.

الخاتمة

في هذه الدراسة النقدية ، الراصدة لعملية التعالق بين ما هو تاريخي وما هو فني ، في الإبداع المسرحي ، وبحث الكيفية التي تنطلق منها طاقات المبدع ، نحو تشكيل هذا النمط الإنساني الأنموذج في الإبداع الأدبي ، الذي تتلاقى خلاله كل طاقات التشكيل الحضاري المستنبتة في فضاء الدين ، ومعطياته الفكرية والثقافية والحضارية... فينتج هذا الأنموذج الإبداعي ؛ القادر على استكناه كل المعطيات الإبداعية ، والمقومات الحضارية ، لبناء الإنسان المسلم ، أو تشكيل البطل القادر على منحنا ، هذا الأنموذج الذي باستطاعته أن يقدم لنا صورة قريبة منها ، وحميمة إلى نفوسنا ، وكأننا نرى أنفسنا في هذه المرآة المصقولة التي أبدعها الأديب الحقيقي .. الأديب الذي يحمل هذه الأفكار ويؤمن بها ، ويحاول أن يضعنا على محفة المسئولية معه ، تجاه هذا الواقع المعاش ..؛الواقع الإسلامي الذي نفتقد في سماته القدوة والأنموذج الحقيقي!!.

من ثم ، حاول الأديب (عبد الحميد إبراهيم) أن يبحث ، ونحن معه ، عن هذا الأنموذج والقدوة في تاريخنا العريق ، والزاخر بهذه العطاءات الإنسانية والحضارية ، التي ملأت آفاق العالم يوما ما .. فلا أجمل من أن نستلهم هذه القيم، ونؤصل لهذه الطاقات الحضارية المشرقة ، وهذه النماذج الظافرة في واقعنا التاريخي .

هذه الدراسة (المسرح والتاريخ) ... تصنع ما يمكن تسميته بـ(المعادل التاريخي للواقع) ، فقدمنا الرؤية الفنية " لتشكيل البطل / الأنموذج " لدى النقاد، وعرفنا برؤية المبدعين للبطل في العمل الإبداعي . لدى من تحكمهم رؤى أو " أيديولوجيات " تتصادم مع المعطيات الحضارية للرؤية الإسلامية . ثم حاولنا تفكيك هذا المصطلح ، ومعالجته بالطريقة التي تتواشج مع الواقع الفكري للبطل المسلم ، ومدى انضباطه مع حركة الحياة ، وفق معطيات الدين الذي ينظم هذه

العلاقة .. فالإسلام يقَدِّم تصورًا فاعلا للإنسان المثالي الذي تتعانق في ذاته ، السماء مع الأرض ، ... ليصنعا منه أنموذجا ، لا هو بالسماوي ؛ الروحي المطلق ، ولا هو بالأرضي/ الطيني المطلق) كذلك .

فالإنسان المسلم هو الذي تتجاور في ذاته كل المتقابلات ، وتنصهر في بوتقة الضمير الحي ، ولا يفرز في المحصلة النهائية إلا السلوك الحضاري الراقي، الذي يتلاءم مع المنهج الحضاري لسياسة الكون والحياة .

فالدراسة ، عبر مفرداتها، عرضت لهذه المفاهيم ، والرؤى الإبداعية ، والنقدية ، والإنسانية ، في حركة الصراع داخل هذا الإطار الفني ؛ مسرحية (مماليك للبيع) . على هذا النحو :

الفصل الأول : المسرح والتاريخ : الرؤية والفن . وتعاملت مع القضية عبر محورين (مبحثين) رئيسين :

الأول : البطل بين الرؤية والفن .

الثاني : الفن والتاريخ : التعالق والتشكيل .

الفصل الثاني : الدراسة التطبيقية : الإبداع : التحليل والنقد . وجاءت في محورين :

الأول : النص المسرحي : مماليك للبيع .

الثاني : المسرحية : تحليل ونقد .

<u>توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج من أهمها :</u>

أولاً : يعد التاريخ الإسلامي مادة خصبة وثرية بالأحداث والنماذج الإنسانية الفاعلة في البناء الحضاري للأمة . ومن ثم ، باستطاعة الأدباء – إذا ما توافرت لهم المواهب الخصبة والاستعدادات النفسية والإرادات الفكرية – أن

يبدعوا أدبا (مسرحا) يستمد مادته وموضوعه من تراثنا الفكري والتاريخي والاجتماعي ، الذي يسهم في تشكيل هويتنا العربية الإسلامية .أي أن التعالق بين الفن والتاريخ ، ينتج أدبا له خصوصيته الحضارية ذات التأثير الفكري والوجداني في بناء أو تربية ذوق أبناء الأمة

ثانيًا : أن المسرح هو الفن القادر اليوم ، والمقبول لدى المتلقين ، لما له من طاقات فنية قادرة ، على السيطرة على تشكيل عقول شبابنا ، ومحفزة له على أن يتبوأ المكانة اللائقة ، والمتقدمة بين الفنون ، لتنشيط ذاكرة الأمة ، وإنعاش مقوماتها الحضارية والإنسانية ، في شتى الميادين .. لذا يتوجب علينا ــ مبدعين ونقاد ــ أن نتخذ من هذه الطاقات مجالا خصبا للدعوة ، للقيم الإنسانية والحضارية الفاعلة ، التي ينهض عليها بناء المجتمع الإنساني الإسلامي الفاعل.

ثالثًا : أن الأدب الإسلامي بعامة ، والإبداع المسرحي منه خاصة ، لا يهمل العواطف الإنسانية أو يكبتها ــ كما يظن البعض ــ بل إن الأدب الإسلامي يعنى بهذا الجانب من الإنسان ، ويفسح له مكانا لائقا في إبداعاته ، كما أفسح له الإسلام ذاته ، مكانا لائقا في تشريعاته ، وتعاليمه ، لكنه يعرضها في إطارها الحقيقي دون زيف أو إغراء ، فيذكي ما كان منها إيجابيا ، ويهذب ما كان منها غير ذلك ، فيعرض لها في العمل الأدبي ، دون تزيد أو مراوغة ! .

رابعًا : أن المسرح بوصفه أبا للفنون ، هو القادر ، على عرض القضايا الكبيرة في المجتمع ، على القاعدة العريضة من شرائحه المختلفة ... بوصفه الفن الأكثر انتشارا في المجتمع ، ولديها ــ كما قلنا ــ مقومات فنية وإبداعية قادرة على السيطرة والتأثير في المتلقين ... من ثم ، باستطاعتها أن تحمل ــ إن جاز التعبير ــ نبوءات المبدعين ، واستشرافهم للمستقبل ، وما يدور في دهاليزه من مشكلات ، وما يستجد على ساحته من قضايا .

خامسا: التعالق بين ما نسميه : السلطة السياسية والشعب ؛ بكافة مقوماته أو طاقاته الحضارية ، وفي القلب منها العلماء والقضاة وقادة الفكر والرأي في المجتمع ، تحفظ على الدولة وجودها ، وتسلم الأمة من كثير من المعوقات ، وتستقيم قناة الحكم فيها ، فتنطلق نحو آفاق البناء والتطور والازدهار .

تلك كانت أهم النتائج ، التي توصلت إليها الدراسة خلال هذا العرض النقدي ، وخلال هذه الرحلة المضنية ، مع البحث والنقد والتحليل في مسرحية مماليك للبيع ، والتي نجح الكاتب إلى حد كبير – عبر توظيف أدواته التي تشكل تجربته – أن يحقق لنا لقاءًا فنيًا مثمرًا وممتعا في الوقت نفسه .. ما يحفزنا على القول بأن التاريخ له فاعليته وحيويته في عملية البناء للعمل الفني، وأن المسرح الذي يوظف طاقات التاريخ لديه قدرة هائلة على حماية القيم الإنسانية في الإبداع ، ومحيي المبادئ الحضارية للمجتمع المسلم عبر الإبداع الأدبي ، إلى جانب التسلية والإمتاع في العصر الحديث .

وهذا ما أتمنى أن أكون قد وفقت في تقديمه للقارئ الكريم ، عساه يتحفز لمطالعة هذا التراث التاريخي المترع بالنماذج الناصعة من رجالاتنا وانتصاراتنا ، وكذا التعرف على الأعمال الإبداعية المتعددة التي عنيت بهذا التاريخ وثرائه في عملية الإبداع ، كي نستعيد ذاكرتنا المنهوبة ، ونشحذ طاقاتنا المعطلة ، في شتى مجالات البحث والإبداع .

الله أسأل ، أن يلهمنا الصواب ،

وأن يجنبنا الزلل .، وأن يهدينا صراطه المستقيم .

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم (جل من أنزله .

١) آفاق الأدب الإسلامي – د. نجيب الكيلاني ــ مؤسسة الرسالة – أولى ــ ١٩٨٥ ــ بيروت .

٢) الأدب الإسلامي : مقاربات في النظرية والإبداع . بتصرف . ص : ١٢٤ د. كمال محمد خليفة – طبعة دراسية لطالبات كلية البنات الإسلامية بأسيوط – ٢٠١٨م – أسيوط .

٣) اتجاهات الرواية المصرية . د / شفيع السيد – مكتبة الشباب – ١٩٨٧م ــ القاهرة .

٤) الإسلام وحركة الحياة . د . نجيب الكيلاني – مؤسسة الرسالة ــ أولى – ١٩٩٠– بيروت.

٥) الإسلامية والمذاهب الأدبية . د . نجيب الكيلاني ، مؤسسة الرسالة – أولى– ١٩٩٠ – بيروت .

٦) الأدب المقارن ص : ٣٨١ د . محمد غنيمي هلال – دار نهضة مصر – ثالثة – ١٩٨٣ م – مصر.

٧) الأنا والآخر : المواجهة الحضارية في الإبداع الروائي د. كمال سعد محمد خليفة – بحث منشور في مجلة البيان – عدد (١٣) الجزء (٢) – لسنة ١٤٣٤هـ / ٢٠١٣م . – كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين – قنا .

٨) بين الأدب والتاريخ . د / قاسم عبده قاسم ... كتاب الفكر (٧) دار الفكر للدراسات والنشر ــ أولى ــ ١٩٨٦ ــ القاهرة .

٩) التناص القرآني .... شازاد كريم عثمان ولمياء ياسين حمزة – مطبوعات قسم اللغة العربية – كلية التربية الأساسية – جامعة رابرين – كردستان / العراق .

١٠) خصائص القصة الإسلامية – مأمون فريز جرار ــ دار المنارة ــ أولى ــ ١٩٨٨– جدة .

١١) دراسات في النقد الأدبي : نقد القصة – د كمال سعد محمد خليفة . مطبعة الكامل – أولى – ١٩٩٩م – أسيوط .

١٢) الروائي والأرض . د .عبد المحسن طه بدر– دار المعارف – ثالثة – ١٩٨٣ – مصر.

١٣) الرواية التاريخية في الأدب العربي – د. أحمد الهواري ود. قاسم عبده قاسم . دار المعارف – دت – القاهرة .

١٤) طبقات الشافعية للشيخ تاج الدين أبي نصر عبد الوهاب السبكي. تحقيق الأستاذين : عبد الفتاح محمد الحلو ومحمود محمد الطناحي – دار إحياء الكتب العربية (الحلبي) – دت – القاهرة .

١٥) الطبيعة في الفن الغربي والإسلامي ص : ٧٢ د / عماد الدين الخليل ــ مؤسسة الرسالة ــ ١٩٧٧ ــ بيروت ..

١٦) في الغزوة الفكري ــ ص ٦١ للدكتور / أحمد السايح – كتاب الأمة– عدد (٣٨) ــ قطر.

١٧) في الفكر الإسلامي من الوجهة الأدبية . للدكتور / محمد أحمد العزب ــ المجلس الأعلى للثقافة ــ ١٩٨٣ ــ القاهرة .

١٨) فوضى العالم في المسرح المعاصر ص : ٨ د. عماد الدين خليل – مؤسسة الرسالة – بيروت .

١٩) فن القصة د. محمد يوسف نجم . دار الثقافة – د.ت – بيروت . .

٢٠) في النقد الإسلامي المعاصر. د / عماد الدين خليل ــ مؤسسة الرسالة ــ ثالثة ــ ١٩٨٤م ــ بيروت .

٢١) قيم المجتمع الإسلامي من منظور تاريخي جزء أول للدكتور / أكرم ضياء العمري . من مقدمة الأستاذ عمر عبيد حسنه " كتاب الأمة عدد (٣٩) وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية ــ قطر .

٢٢) قيم جديدة للأدب العربي د / عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ)- دار المعرفة ــ أولى ــ القاهرة .

٢٣) لسان العرب جمال الدين بن منظور . دار المعارف – د . ت – القاهرة .

٢٤) مجلة (الحرس الوطني) العدد ١٨٩/١٩٠ المحرم ١٤١٩هـ . مايو ١٩٩٨ مقال للأستاذ حسن حجاب الحازمي في ما نقله عن مجلة الآداب اللبنانية – العدد (الأول) يناير ١٩٥٩ ص ٣٢٢ . بيروت .

٢٥) مدخل إلى الأدب الإسلامي ص : ١١ بتصرف . من مقدمة الأستاذ عمر عبيد حسنة ــ للدكتور نجيب الكيلاني ــ كتاب الأمة عدد (١٤) جمادى الآخرة ١٤٠٧هـ ــ رئاسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية ــ قطر .

٢٦) المسرح العربي والتاريخ : دراسة في العلاقات الفنية . ص : (١١٢: ١١٣) كمال سعد محمد – (مقال)منشور في مجلة (الفيصل) عدد (٢٠١) – ربيع أول ١٤١٤هـ / أغسطس ــ سبتمبر ١٩٩٣ م – المملكة العربية السعودية .

٢٧) مسرحيات إسلامية قصيرة – إعداد رابطة الأدب الإسلامي العالمية – مكتبة العبيكان – أولى – ٢٠١١م – الرياض .

٢٨) المسلمون وضرورة الوعي بالتاريخ . مقال للأستاذ :عبد القادر عبار – منشور مجلة الأمة – عدد(٤٢)– جمادى الآخرة ١٤٠٤هـ .١٩٦١ ـ القاهرة .

٢٩) المسرحيات (الأعمال الكاملة) لأمير الشعراء: أحمد شوقي ص: ١٢ من تقديم الدكتور: عز الدين إسماعيل – الهيئة المصرية العامة للكتاب – ١٩٨٤م – مصر .

٣٠) مشكلات الفكر المعاصر في ضوء الإسلام ص : ١٤٩ – أنور الجندي – مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر – عدد (٢٨)– ثانية – ١٩٩٦م– مصر .

٣١) معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ص : ٧٨ – مجدي وهبه وكامل المهندس – مكتبة لبنان – ثانية – ١٩٨٤م – بيروت .

٣٢) المعجم الأدبي ص : ٥٠ جبور عبد النور – دار العلم للملايين – أولى – ١٩٨٤ ـ بيروت .

٣٣) مماليك للبيع ص : (٧٠: ٧٢) : مسرحية منشورة مجلة الأدب الإسلامي (فصلية) – تصدرها :(رابطة الأدب الإسلامي العالمية) – العدد(٥) السنة (٢) رجب / شعبان / رمضان :١٤١٥هـ / ديسمبر/ يناير / فبراير ١٩٩٥م. المملكة العربية السعودية.

٣٤) نحو مسرح إسلامي – د. نجيب الكيلاني – دار ابن حزم – أولى – ١٩٩٠م – بيروت .

٣٥) نقد الرواية في الأدب العربي الحديث في مصر . د . أحمد الهواري – دار المعارف – ثانية – ١٩٨٣ – مصر .

٣٦) الواقعية الإسلامية . د. أحمد بسام ساعي – دار المنارة – أولى – ١٩٨٥– جدة .

٣٧) الواقعية في الرواية العربية . د . محمد حسن عبد الله – دار المعـــارف – ١٩٧١م – مصر .

٣٨) الواقع والتاريخ .(مقال) اعتدال عثمان ــ فصــول عــدد (٢/٣) يوليــو ١٩٨٢م– القاهرة .

٣٩) مجلة الأمة عدد(٣٨) صفر ١٤٠٤هــ / نوفمبر ١٩٨٣ م . الدوحة .

٤٠) الواقعية ص ١٠٥ ــ د / ديمين كرنت ترجمـــة ــ عبــد الواحــد لؤلــؤة . المؤسسة العربية للدراسات والنشر ــ ١٩٨٣ ــ بيروت

٤١) اليوم الموعود (المقدمة) رواية . د / نجيب الكيلاني . مؤسسة الرســـالة – ثالثة – ١٩٨١م – بيروت .

* * * * * * * * * * * *

المسرح والتاريخ : تعالق إبداعي

دراسة تحليلية في مسرحية (مماليك للبيع)

د. كمال سعد محمد خليفة

المسرحية ، فن لديه من الاتساع الزماني ، والمكاني ، والإبداعي ، ما يجعله يستوعب الأفكار، ويقوم بتفسيرها وتحليلها ، ورصدها من وجهة نظر الكاتب ، ويستوعب مقومات وطاقات فنية متعددة ، تدفع الكاتب والمتلقي ــ في الآن نفسه ــ إلى أن يتواصلا عبر اللغة المشتركة ، والصياغات المتنوعة ، ما يجعل من المسرحية فنًا اجتماعيًا، قادرًا على رصد مشكلات المجتمع ، وتقديم الحلول المناسبة لها من وجهة نظر الأديب. يضاف إلى كل ذلك حضوره الطاغي الذي تدعمه أدواته الفنية ، ووسائطه الإبداعية ، التي تعمل على جذب الذوات المتلقية " فتملأ نفوسهم بالسعادة والنشوة ، كما تسمو بأذواقهم ، وتمدهم بالطاقة الروحية والفكرية .

من هنا ، لا يكون المسرح شكلاً أدبيا فحسب ، ولا وسيلة من وسائل تسلية الفراغ ، بل هو أكبر من ذلك ، فلئن كان " الإمتاع وجها من وجوهه ، فإن له وجوها أُخَر ، يعبر عنها التصور والاعتقاد ، المتمثل في نظرة الكاتب إلى الكون والحياة والإنسان ، فهو بذلك عامل من عوامل التأثير الفكري ، والتغيير الاجتماعي.

من ثم ، تكون دراسة الإبداع المسرحي ، ضرورة ملحة ، لرصد حركة المجتمع ؛ رصد آلامه وآماله ، انتكاساته وانتصاراته ، على المستوى الفردي والجماعي ، حتى تحدث لدى المجتمع ما يسمى بـ (الصدمة) ، فيسترد وعيه وتفكيره المغيب . سيما ، في هذا العصر الذي يحيا فيه المجتمع العربي والإسلامي حال من الانتكاسة في الفكر ، والتقهقر في السياسة والتفسخ في الواقع الاجتماعي ، والاضطراب والكساد في الاقتصاد .

هذه الدراسة تطرح هذا التصور الإسلامي ، لعملية الإبداع في حياتنا. سيما، إذا كان المبدع ؛ هذا الإنسان طرازا فريدا في هذا الكون ، له مسئولياته المتعددة ، التي تحاول عقيدته الإسلامية ، أن تلقي عليه عبء متابعتها وتحقيقها . هذه المسئوليات ، أو القيم ؛ من الحق والخير والجمال والعدل والمساواة ... الخ ، هي التي في مجملها ، تخلق لدى الإنسان المبدع حيوية التصور الإسلامي للعملية الإبداعية ، في فنونها وتشكيلاتها الإبداعية المختلفة سواءً منها الواقعي أو التاريخي ... فدراسة الشخصيات / الأحداث التاريخية . ومن ثم ، تشكيلها في العمل المسرحي ، ومحاولة إخراجها من صفحات التاريخ ، إلى عالم الواقع والمشاهدة ، لم يكن ترفا ، أو هروبا من المبدع ، من حلبة الصراع في الواقع ، لكنها تمثل – في رأيي– مواجهة مع هذا الواقع ، بمشكلاته المتداعية ، والاصطدام به ، من خلال رؤية الأديب ، الذي يتخذ من التاريخ أو الواقع التاريخي ، مصدرًا خصبًا ؛ لبناء أحداثه وشخوصه ، وتشكيل هـــــوياتهم ، ورؤاهم المختلفة .

هذه الرؤية الإبداعية ، بمقدورها أن تصنع البطل الذي باستطاعته المواجهة مع الواقع ، سيما عندما يضطرب هذا الواقع ، وتتداعى في دنياه القيم والمبادئ ، ويحاصرها بتخاذله وانكساراته .. فلا شك أن التاريخ في هذا الوقت ، هو الذي يحفزنا على مجاوزة هذا الواقع المتداعي ، و يدفعنا للتمرد عليه . ومن ثم ، الاستعلاء فوق انكساراته ، والإغراء بأنماطه الواعدة ، ونماذجه الفاعلة ، واستلهام أحداثه الحية ، واستدعائها لفهم الواقع ومعالجته .

شكلت الدراسة عبر خارطتها التي تضم التمهيد وفصلين تضمنا : أهمية العمل المسرحي ، والتعريف بمصطلح (البطولة) ، بوصفه أبرز الشخصيات في العمل المسرحي ، تم عرضت للعلاقة بين التاريخي والفني ، ثم النص المسرحي (مماليك للبيع) . ثم الدراسة التحليلية التي حاولت أن تتمظهر على واقع البطل في نسقه التاريخي ، وهو يمارس تعالقه مع الآليات الفنية المختلفة للمسرح

الإبداعي ، وتبرز من خلال العملية التحليلية التمازج عبر عملية البناء بين مادة التاريخ والفن في تشكيل تجربة المسرحية (مماليك للبيع) . التي يحاول كاتبها أن نفتح عيوننا على هذا الأنموذج التاريخي البطولي الفريد ؛ الذي تكتنز شخصيته بطاقات عديدة من القيم الحضارية والخصائص الإنسانية والمواقف البطولية والأخلاقية ، التي تنطلق من رؤية إبداعية متفردة ، تنطلق من المعطيات الإنسانية والحضارية للإسلام الذي يعبر عنه الشيخ ، ويرمز إلى مقومات بناء الشخصية الحضارية فيه . بوصف الإسلام الدين الذي يحمل في أعطافه قيم التحضر والبناء ، ويؤصل لقيم الحق والخير والحب والعدل والمساواة والجمال ، في مجتمعه . سيما عندما تفتقد المجتمعات كثيرا من هذه الطاقات . ومن ثم ، النماذج التي تشكل وجودها فيه .

لعل هذه – تفتح عيوننا على أمثال هذه النماذج ، والإغراء بإمكانية تكرارها في مجتمعاتنا ؛ في واقعنا الذي يفتقد مثل هذا الأنموذج – كانت دافعي لدراسة هذه المسرحية ، وإبراز ما أثمرته هذه العلاقة بين التاريخ بثرائه الحضاري والإنساني ، والفن بطاقاته وأدواته ، التي تشكل وجدان شبابنا ، وتنشئهم على مثل هذا الإبداع الحقيقي ، الذي يصلح أن يكون بديلا لما نعانيه ، من نتاج فاسد، وإبداع لمواهب قاحلة ، وضحلة الخيال !! .

almasrah walttarikh

taealaq aibdaey

dirast tahliliat fi masrahia (mmalyk llabye)

d. kamal saad muhammad khalifa

'ustadh al'adab walnaqd almusaeid

klit albanat al'iislamiat bi'usyut

jamieat al'azhar

١٤٣٩h / 2018 m

The play, an art that has a temporal, spatial, and creative dimension, makes it absorb the ideas, interprets them and analyzes them, monitors them from the point of view of the writer, and assimilates various artistic qualities and energies. The writer and the recipient are able to communicate through the common language, , Which makes the play a social art, able to monitor the problems of society, and provide solutions appropriate to them from the point of view of the writer. In addition to all this, his overwhelming presence is supported by his artistic tools and his creative means, which work to attract the recipients, "filling their souls with happiness and ecstasy, as well as their tastes, and providing them with spiritual and intellectual energy.

This is not only a literary form, nor a means of entertaining leisure, it is even greater. Whereas "enjoyment is a facet, it has another facet, expressed by perception and belief, of the writer's view of the universe, life and man, It is a factor of intellectual influence, and social change.

Therefore, the study of theater creation is an urgent necessity to monitor the movement of society; to monitor its pains and hopes, its setbacks and victories, both individually and collectively, so that the community can develop a so-called shock. Especially in this era in which Arab and Islamic society lives in a state of setback in

thought, regression in politics and disintegration in the social reality, and the turmoil and depression in the economy.

This study presents this Islamic conception of the process of creativity in our lives. In particular, if the creator; this man a unique model in the universe, has multiple responsibilities, which try his Islamic faith, to receive the burden of follow-up and achievement. These responsibilities, or values, of right, goodness, beauty, justice, equality, etc., are the ones that, in their entirety, create in the creative man the vitality of the Islamic conception of the creative process in its various creative arts and formations, both real and historical. . And then, its formation in theatrical work, and try to take it out of the pages of history, to the world of reality and viewing, was not a luxury, or escape from the creator, the arena of conflict in reality, but it represents – in my opinion – a confrontation with this reality, its problems crumbling, , Through the vision of the writer, which takes history or historical reality, a fertile source; to build events and personalities, and the formation of identities, and visions of different.

This creative vision can create the hero who can cope with reality, especially when this reality is disturbed, its values and principles fall apart, and it is besieged by its backwardness. It is no doubt that history at this time motivates us to transcend this deteriorating reality, To rebel against him. Thus, the superiority over the refractions, and the temptation of its promising patterns, and its active models, and inspired by its live events, and called to understand reality and address.

The study was formed through its plan, which includes the preface and two chapters that include: the importance of theatrical work, and the definition of the term (tournament), as the most prominent figures in theatrical work, was exposed to the relationship between historical and artistic, and then theatrical text (Mamluk for sale). And then the analytical study that tried to appear on the reality of the hero in the historical format, which is practiced with the various technical mechanisms of the creative theater, and highlights through the process of analysis of the mix through the process of construction between history and art in shaping the experience of the play (Mamluk for sale). The author of which tries to open our eyes to this unique heroic historical model, whose character is characterized by many cards of cultural values, human characteristics and heroic and moral positions, which are based on a unique creative vision based on the humanistic and civilizational characteristics of Islam, Civilization in it. Islam is the religion that carries in its toll the values of urbanization and construction, and establishes the values of right, goodness, love, justice, equality and beauty in its society. When societies lack much of this potential. And hence, the forms in which they are formed.

Perhaps this – opens our eyes to the likes of these models, and the temptation to be replicated in our societies; in our reality, which lacks such a model – was the motivation to study this play, and to highlight what this relationship has produced between history and its cultural and human heritage, and art cards and tools, And create them on such a real creativity, which fit to be a substitute for what we suffer, from the product of corrupt, and creativity to the talents of barren, and shallow imagination. !!

المحتوى

م	الموضوع	رقم الصفحة
١	المقدمة:	٥٦٥
٢	التمهيد : المسرح والمجتمع	٥٧٢
٣	الفصل الأول المسرح والتاريخ : الرؤية والفن .. وفيه مبحثين:	٥٧٦
٤	المبحث الأول : البطل بين الرؤية والإبداع.	٥٧٧
٥	المبحث الثاني : الفن والتاريخ : التعالق والتشكيل..	٥٩٤
٦	الفصل الثاني الدراسة التحليلية.. وفيه مبحثين:	٦٠٨
٧	المبحث الأول : النص الأدبي : مماليك للبيع للدكتور عبد الحميد إبراهيم.	٦١٤
٨	المبحث الثاني : المسرحية : تحليل ونقد.	٦٢٥
٩	الخاتمة	٦٥٩
١٠	المصادر والمراجع	٦٦٣
١١	الملخص	٦٦٨
١٢	المحتوى	٦٧٤